بحث عام | قسم الدراسات الدينية | 08 سبتمبر 2017

الأبعاد الاجتماعيّة للإيمان في الأديان الإبراهيميّة

مدخل تفسيريّ

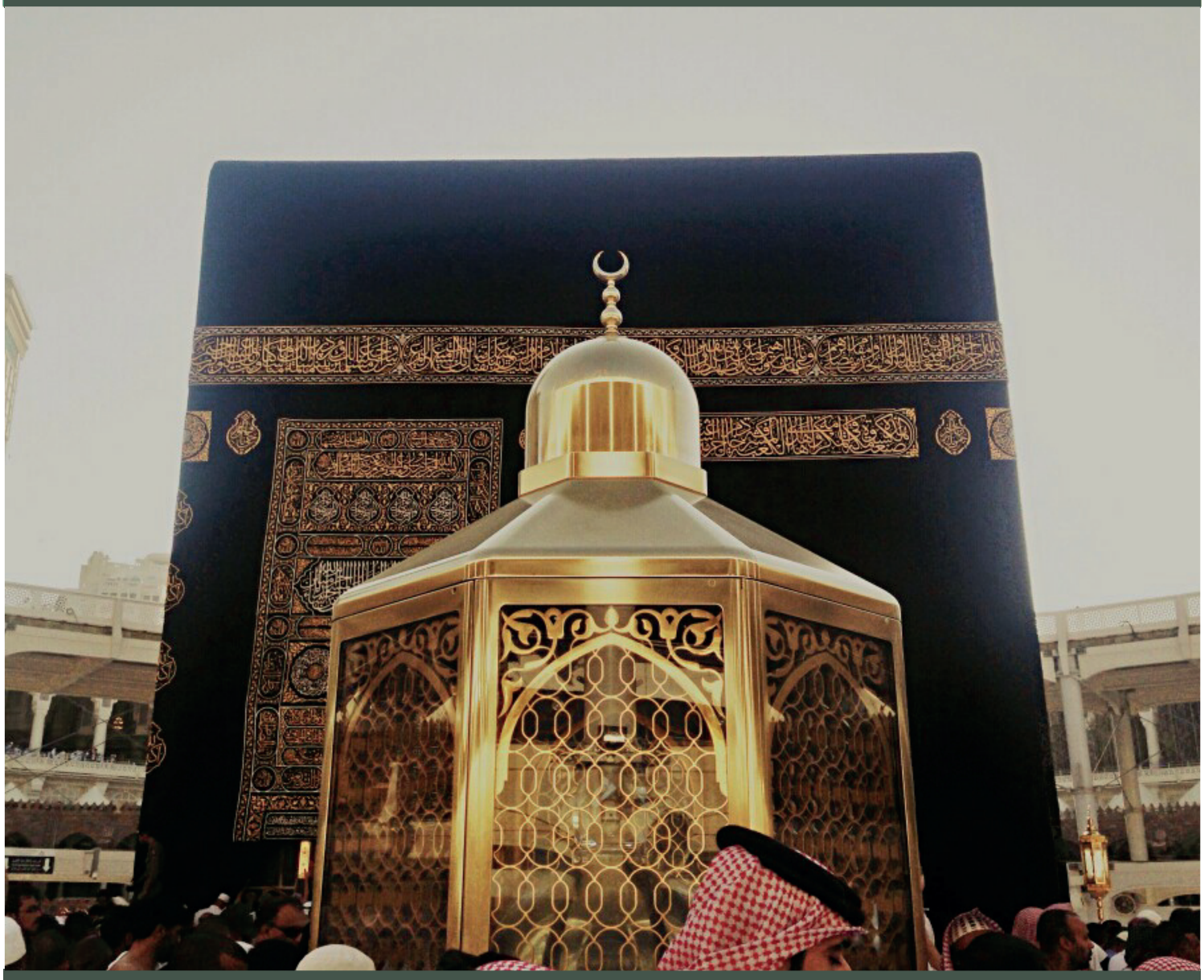

الحسن حما
باحث مغربي

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2017
All rights reserved © 2017

الملخّص:

شكّل الإيمان - بمعناه العام وبإطلاقه - منطلق العديد من الدّراسات والأبحاث، سواء في اليهوديّة أو المسيحيّة أو الإسلاميّة، إلّا أنّ هذه الدّراسة تنفرد بمقاربة تستدعي مفهوم الإيمان، لا بشكل تقريريّ لاهوتيّ لجملة من العقائد الّتي تشكّل الإيمان بدين من الأديان المدروسة، أو بمنهج نقديّ تقويضيّ؛ إنّما غاية هذه الدّراسة: الكشف عن الدوائر المغيّبة في النّصوص الثّلاثة من جهة أولى، ومحاولة البحث عن تجليّات الإيمان الاجتماعيّة من جهة ثانية، وفلسفتها في كلّ أنموذج من خلال جملة من المفاهيم الدّينيّة، سعيًا إلى إبراز دور العقيدة في مفهوم (الإيمان) في البناء الاجتماعيّ لجماعة المؤمنين.

مقدّمة:

يُنظرُ إلى البحث في موضوع «الأدوار الاجتماعيّة للإيمان»، بأنّه يوحي - بذاته - إلى البحث عن علاقة الإيمان بالإنسان، وذلك هو جوهر الخطاب الدّينيّ الإبراهيميّ؛ توجيه السّلوك الإنسانيّ في الواقع، كي يتوافق مع رؤية الأديان للإنسان والعالم، خاصّة، في المجال التّداوليّ للأديان الإبراهيميّة؛ إذ لكلّ منها أنموذج إدراكيّ في توجيه عموم المؤمنين إلى الإيمان، بحثًا عن عالم آخر مخالف لعالم الإنسان الّذي يكتنفه الشّقاء والخطايا، عالم يجد فيه الإنسان ما افتقده في الحداثة الّتي حقّقت له كلّ الإمكانات المادّيّة والاقتصاديّة، وعجزت عن إقناعه بمشروعها ورؤيتها في الجانب الرّوحيّ، هذا يعيدنا - بشكل آخر - إلى السّؤال عن دوائر المشترك، والالتقاء بين هذه الأديان في إيمانها، ومقدرتها التّفسيريّة في الانتقال بالإنسان إلى مستوى إنسانيّ يتجاوز إلى لغة الدّمار والقتل والغزو والتّطرّف والإقصاء، الّتي أصبحت سمة عامّة لما نشهده في وسائل الإعلام.

الأمر الذي تحاول هذه الدّراسة بيانه في سياقات - دينيّة واجتماعيّة وثقافيّة - متّصلة بمستويات التّعايش الإنسانيّ الممكنة؛ إذ غاية الإنسان الأسمى - دومًا - بحثه المستمرّ عن الأمن الرّوحيّ والاجتماعيّ والثّقافيّ والسّياسيّ والاقتصاديّ، واتّخاذه معتقدات وطقوس في مراحل مختلفة من تديّنه، ظنًّا منه أنّها تقيه الشّرّ وغضب الطّبيعة، وشهد هذا تطوّرًا في مسار بحثه عن إيمان يقرّبه أكثر من العالم الغيبيّ، لذلك؛ كان الدّين والتّديّن - ومازال - جزءًا مهمًّا في حياة الإنسان، يصعب انتزاعه رغم كلّ المحاولات والمشروعات الّتي تهدف إلى استبعاد الدّين وإقصاءه من دائرة التّدافع الاجتماعيّ والثّقافيّ.

إنّ البحث الدّؤوب للإنسان عن الرّاحة النّفسيّة عبر إيمانيّاته المختلفة بعقائده، انتقل بالإنسان إلى التّمييز بين عالمين متناقضَين تعرفهما حياته؛ عالم مدنّس وعالم مقدّس[1]، المقدّس مرتبط بالإيمان؛ وعَبرهُ تَتَشكل المفاهيم الدّينيّة الّتي توجه سلوكه الإنسانيّ، لتجاوز العالم المدنّس المليء بالأوجاع والاضطّرابات - النّفسيّة والاجتماعيّة - بين بني الإنسان.

ومن أجل بلورة مقاربة للجوانب الّتي يمكن للدّين وقضايا العقيدة بشكل أن تساهم فيها - بشكل رئيسيّ - لاستعادة الإنسان سعادته، نظرًا لموقع الإيمان والدّين في تاريخ البشريّة ووجودها الأنطولوجيّ، تسعى هذه الدّراسة إلى تلمّس مدى حضور المعطى الاجتماعيّ في الإيمان الدّينيّ للأديان الإبراهيميّة، بغرض البحث عن مقاربة تكشف عن العلاقات الّتي تؤسّس من خلالها نصوص (العهدين العتيق والجديد والقرآن المجيد)، لتعابير اجتماعيّة ترشد بها وتنظّم من خلالها جماعة المؤمنين، وهذا يعكس زاوية أخرى للإيمان الدّينيّ للأديان الثّلاثة الّتي تجمع بين ارتباط الإنسان بالمعطى الغيبيّ بفضل إيمانه بعقائد، وبين المعطى الإنسانيّ

1 - Eliade, Mircéa, **Le sacré et le profane**, Paris, Gallimard, 1982, p 14.

في التّعبير عن هذا الإيمان في منافذ اجتماعيّة، يتحوّل معها إلى سلوك ومفاهيم اجتماعيّة وثقافيّة وسياسيّة؛ حيث يقدّم القرآن الكريم هذه الحقيقة في صورة تؤكّد على أنّ الإيمان الحقّ؛ هو الّذي يُحدث أثرًا على الصّعيد الاجتماعيّ؛ كالزّكاة، والإنفاق على الغير، والوفاء بالعهود، والتّضامن الاجتماعيّ في صوره المختلفة، ..إلخ.

إنّ الوصول إلى هذه الغاية يعيدنا - مباشرة - إلى منهج تناول قضايا الفكر الكلاميّ، بالشّكل الّذي يجعلها أكثر ارتباطًا بالواقع الاجتماعيّ، والانتقال بها من المقاربة التجريديّة الّتي تأخذ بالآلة المنطقيّة في الاستدلال وفي بناء أصولها المرجعيّة، إلى مستوى تكون فيه ذات صلة بالواقع الإنسانيّ، مسترشدًا - في هذا المسعى - بالمنهج القرآنيّ في بناء خطابه على أصول الواقع الكونيّ والإنسانيّ، من مدخل كونيّ فلسفيّ يتجاوز استلاب الإنسان، واللّاهوت الدّينيّ المسيحيّ، والتّفكير الميتافيزيقيّ، والوضعيّة الكلاسيكيّة، كحلٍّ للإشكاليّات الدّينيّة، كما تبلورت مع التّفكير المسيحيّ[2]، والاندراج ضمن مساقات العلم الحديث وعلاقته بالمسألة الإلهيّة الّتي طرحت في الغرب، بفعل انتشار حالة الإلحاد واللّاإدريّة، وتأثيرات الوضعيّة المنطقيّة[3] الّتي لم تعط للمسألة الإلهيّة تأطيرًا للنّقاش ضمن دوائرها.

إنّ الرّهان على إعادة قراءة النّصوص الدّينيّة والاهتمام المتزايد بـ (عودة الدّين) و(القدسيّ)، يقابله سؤال منهجيّ مؤسّس؛ وهو: ما مدى حضور «النّصوص المقدّسة» في ساحة الفعل الثّقافيّ والاجتماعيّ للواقع المعاصر؟ وإلى أيّ حدّ يمكن التّقدّم بالبحث في مجال المقارنة الدّينيّة، مع وجود تحديّات وإشكاليّات تصاحب مرجعيّة كلّ نصّ؟ في أفق بناء حوار دينيّ مؤسّس ومتجاوز، يراعي خصوصيّات الأديان، وواع بالإشكاليّات الّتي واكبت حقل تاريخ الأديان في بداية تشكلّاته المعرفيّة والفلسفيّة.

وحتّى ينسجم هذا الفهم مع الحقل المعرفيّ للدّراسة (النّصوص المقدّسة للأديان الإبراهيميّة)، وينتظم وفق إطارها النّظريّ الإبستمولوجيّ؛ تشتغل الدّراسة على النّصوص بشكل لا يلغي خصوصيّاتها المعرفيّة، وتحليل معطيات (الإيمان) فيها، من خلال المعطى الثّقافيّ والاجتماعيّ للنّصوص والوثائق المدروسة؛ أي إنّ مقاربة الاشتغال، بقدر ما تمتاح من المفاهيم الأنثربولوجيّة وعلم الاجتماع الدّينيّ، تستند إلى «مقاربة الظّاهرة الدّينيّة على صعيد حقل مرجعيّتها الخاصّ بها»[4].

لقد شكّل الإيمان - بمعناه العامّ وبإطلاقه - منطلق العديد من الدّراسات والأبحاث؛ سواء في اليهوديّة أو المسيحيّة أو الإسلاميّة، إلّا أنّ هذه الدّراسة تنفرد بمقاربة تستدعي مفهوم الإيمان، لا بشكل تقريريّ

2 - أحيل القارئ إلى كتابات المفكر السّودانيّ "محمّد أبو القاسم حاج حمد"؛ فقد فصّل - رحمه الله - في الإشكاليّات التي أفرزها التّفكير اللّاهوتيّ، ومناهج المعرفة الوضعيّة في الغرب، حلًا لإشكاليّاتها مع اللّاهوت المسيحيّ والتّفكير الميتافيزيقيّ.

انظر: حاج حمد محمّد أبو القاسم، 1425هـ/ 2004م، «**جدليّة الغيب والإنسان والطّبيعة العالميّة الإسلاميّة الثّانية**»، ط 1، بيروت– لبنان، دار الهادي، ص 29.

3 - Auguste Comte, "**Catechisme positiviste**», Garnier - flammarion, **1966,** Paris.

4 - ميرتشيا إلياده، «**البحث عن التّاريخ والمعنى في الدّين**»، مصدر سابق، ص **21**.

لاهوتيّ لجملة من العقائد الّتي تشكّل الإيمان بدين من الأديان المدروسة، أو بمنهج نقديّ تقويضيّ؛ إنما غاية هذه الدّراسة: الكشف عن الدّوائر المغيّبة في النّصوص الثّلاثة من جهة أولى، ومحاولة البحث عن تجليّات الإيمان الاجتماعيّة من جهة ثانية، وفلسفتها في كلّ أنموذج من خلال جملة من المفاهيم الدّينيّة، سعيًا إلى إبراز دور العقيدة من خلال مفهوم (الإيمان) في البناء الاجتماعيّ لجماعة المؤمنين[5].

I. اقتران الإيمان بالعمل الصّالح وأبعاده الإنسانيّة:

كثيرًا ما نعثر على إشارات لاقتران الإيمان بالإحسان والبرّ وفعل الخير في نصوص الأديان الإبراهيميّة، وهو ما يمكن جعله أرضيّة صلبة لإعادة الحوار الدّينيّ إلى مسعاه الخيريّ، الّذي فشلت فيه الكثير من الحوارات الّتي - عادة - ما يطبع عليها طابع المجاملة، إنّنا أقرب - اليوم - إلى الحاجة إلى ما يسمّيه عزّ الدّين عناية «الحوار الاجتماعيّ»[6]؛ أي البحث عن المداخل الاجتماعيّة للأديان، كي تشكّل منطلق الحوار الدّينيّ والإنسانيّ، عوض لغة التّنافر والتّناظر اللّاهوتيّ؛ لأنّ ما يعوز الأديان الثّلاثة في حاضرنا: «هو تفعيل ميثاق قيميّ جامع بينها، يتعهّد بمقتضاه رجالاتها بالالتزام بعمل الخير المشترك بينها، لتنبثق عن ذلك التّكاتف هيئة دينيّة ساهرة، تتولّى تفعيل قيم العمل الصّالح، وضبط الخلل الحاصل جرّاء التّعايش الحضاريّ، مع تقديم المقترحات والحلول في الشّأن»[7]، وأيضًا؛ لأنّ الإحسان والعمل الاجتماعيّ - عمومًا - هو تجلّ عمليّ لمفهوم الإيمان، يخرج به من حيّز المفارقة إلى التّمظهر العينيّ[8]، لذلك؛ تكاد الأديان الثّلاثة تجمع على أمر الإحسان وفعل الخير - وإن اختلفت فلسفتها التّشريعيّة له - إلّا أنّ نصوصها تبدو على درجة من الاهتمام بالخير وأعمال البرّ.

وفق التّحليل الظّواهريّ؛ فإنّ مقصد الطّقس يهدف إلى ترسيخ علاقة عموديّة بين العابد ومعبوده، علاوة عمّا يتولّد عن الممارسة الجماعيّة للطّقوس، من توطيد علاقة أفقيّة بين أفراد الجماعة المؤمنة، بما يساهم في تمتين عرى التّماسك واللّحمة بينها، ويشعرها بالألفة والتّضامن[9]، وهذا راجع إلى وازع إيمانيّ يشكّل العنصر الفعّال في فلسفة الأديان في أعمال الخير والبرّ فيها.

---

5 - يمكن الإشارة إلى أهمّ الدّراسات في هذا الباب، مثل: ماكس فيبر، «**الأخلاق البروتستانتيّة وروح الرّأسماليّة**»، ترجمة: محمّد مقلّد، مركز الانماء القوميّ، بيروت - لبنان، ودراسة لعزّ الدّين عناية،

وكذلك الدّراسة:

MALEK CHEBEL, **Le Sujet En islam**, Éditeur, Editions du Seuil (2002).

6 - عزّ الدّين عناية، «**الأديان الإبراهيميّة قضايا الرّاهن**»، مصدر سابق، ص 107.

7 - نفسه، ص 107.

8 - نفسه، ص 102.

9 - عزّ الدّين عناية، «**الأديان الإبراهيميّة قضايا الرّاهن**»، مصدر سابق، ص 102.

1. العمل الخيريّ والإحسان في النّصّ التّوراتيّ:

رغم ما يكتنف النّصّ التّوراتيّ والعهد القديم - عمومًا - من صعوبة في إبراز أبعاد العمل الخيريّ والاجتماعيّ فيه، بالنّظر إلى سياقه التّاريخيّ والثّقافيّ والأدبيّ، إلّا أنّ جزءًا من الكتابات التّبشريّة - أساسًا - يحاول إبراز ملامح الزّاوية الاجتماعيّة للعهد القديم[10]، وترى أن الأخلاق واللّاهوت لا ينفصلان في الكتاب المقدّس، أمّا مرجعيّة أفعال الخير والأعمال الصّالحة؛ فتستمدّ مرجعيّتها في اليهوديّة من فريضة (الصّدقة) المستوحاة من النّصّ المقدّس أساسًا[11]؛ إذ لم يكن اختيار إبراهيم إلّا {**لأَنِّي عَرَفْتُهُ لِكَيْ يُوصِيَ بَنِيهِ وَبَيْتَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَنْ يَحْفَظُوا طَرِيقَ الرَّبِّ* لِيَعْمَلُوا بِرًّا وَعَدْلاً* لِكَيْ يَأْتِيَ الرَّبُّ لإِبْرَاهِيمَ بِمَا تَكَلَّمَ بِهِ**}[12]، وكذلك: {**لأَنَّهُ لاَ تُفْقَدُ الْفُقَرَاءُ مِنَ الأَرْضِ* لِذلِكَ أَنَا أُوصِيكَ قَائِلاً: افْتَحْ يَدَكَ لأَخِيكَ الْمِسْكِينِ وَالْفَقِيرِ فِي أَرْضِكَ**}[13].

وتُعْرَفُ الصّدقة[14] في العهد القديم، بأنّها: «بادرة صلاح من الإنسان نحو أخيه، وهي اقتداء بأثر الله الّذي هو دليل الصّلاح نحو الإنسان»[15]، والمعنى المقصود بالصّدقة في النّصّ اليهوديّ: هو (العدالة) - في أغلب الظّنّ - وهو ما يشير إليه نصّ يحتوي على كلمة الإحسان في التّوراة، وذلك في جزء من سفر دانيال المكتوب بالآراميّة (4: 24)؛ حيث جاء فيه: {**لذلك أيها الملك لتحسُن مشورتي لديك وافتد خطاياك بالصدقة وآثامك بالرحمة للبائسين عسى أن تطول دعتك**}، والنّصّ العبريّ يعني: أنّ الصّدقة والإحسان يضمنا توزيعًا عادلًا لعطايا الله إلى البشريّة[16].

وقد أخذت الصّدقة مكانة سامية في تعاليم اليهود الدّينيّة، وَرَدَ في التّوراة: {**طوبى للذي ينظر إلى المسكين**}[17]؛ بل تُوجب تعاليم التّوراة التَّصَدُّق على العدو: {**إن جاع عدوك فأطعمه خبزًا، وإن عطش فاسقه ماءً**}[18]، لهذا؛ ينظر اليهود إلى «أنَّ صدقتهم تجعلهم أرفع شأنًا وأعظم قدرًا، فهي مقبولة منهم؛ لأنهم

---

10 - كريستوفر ج. رايت، «**أخلاقيّات العهد القديم لشعب الله**»، ترجمة: فينيس نقولا، دار الثّقافة، القاهرة، ط 1، 2011م، ص 43.

11 - عزّ الدّين عناية، «**الأديان الإبراهيميّة قضايا الرّاهن**»، مصدر سابق، ص 104.

12 - تكوين [18: 19].

13 - التّثنية [15: 11].

14 - لم ترد هذه الكلمة في العهد القديم، غير أنّه كثرت الإشارة إلى وجوب فعل الرّحمة والسّخاء في العطاء، وممّا وجب على بني إسرائيل: ترك بقايا المواسم والحصاد في زوايا الحقل والكرم ليلتقطها الفقراء (لا [19: 9 - 10]، و[23: 22]، وتث [15: 11]، و[24: 19]، انظر:

http://st-takla.org/Full-Free-Coptic-Books/FreeCopticBooks-002-Holy-Arabic-Bible-Dictionary/14_SAD/SAD_015.html

15 - عبد الرّزّاق رحيم صلال، «**العبادات في الأديان السّماويّة**»، دار الأوائل، دمشق، ط 1، 2001م، ص 95.

16 - آ.كوهن، «**التلمود عرض شامل للتلمود وتعاليم الحاخامين حول: الأخلاق، الآداب، الدّين، التقاليد، القضاء**»، ترجمة: جاك مارتي، دار الخيال، الكويت، ط 1، 2005م، ص 292.

17 - مزمور [41: 1].

18 - الأمثال [25: 21].

أبناء الله، وأحباؤه، وشعبه المختار، كما يَرَوْنَ - قَدِيمًا - أَنَّ مَنْ يَتَصَدَّقُ من غير اليهود لا يتصدَّق بنية خالصة لوجهه الكريم؛ إنّما يفعل ذلك كبرياء»[19].

إنّ النّصّ اليهوديّ يفصح عن بعد إنسانيّ ظلّ غائبًا ومنسيًّا في الإرث التّوراتيّ، ذلك هو المفهوم الخيريّ الشّامل للبشر كافّة، الّذي جاء ذكره في سفر الخروج **{وَأَصْنَعُ إِحْسَانًا إِلَى أُلُوفٍ مِنْ مُحِبِّيَّ وَحَافِظِي وَصَايَايَ. لاَ تَنْطِقْ بِاسْمِ الرَّبِّ إِلهِكَ بَاطِلاً، لأَنَّ الرَّبَّ لاَ يُبْرِئُ مَنْ نَطَقَ بِاسْمِهِ بَاطِلاً. اُذْكُرْ يَوْمَ السَّبْتِ لِتُقَدِّسَهُ. سِتَّةَ أَيَّامٍ تَعْمَلُ وَتَصْنَعُ جَمِيعَ عَمَلِكَ، وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابِعُ فَفِيهِ سَبْتٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. لاَ تَصْنَعْ عَمَلاً مَا أَنْتَ وَابْنُكَ وَابْنَتُكَ وَعَبْدُكَ وَأَمَتُكَ وَبَهِيمَتُكَ وَنَزِيلُكَ الَّذِي دَاخِلَ أَبْوَابِكَ. لأَنْ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا، وَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ. لِذلِكَ بَارَكَ الرَّبُّ يَوْمَ السَّبْتِ وَقَدَّسَهُ. أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ. لاَ تَقْتُلْ. لاَ تَزْنِ. لاَ تَسْرِقْ. لاَ تَشْهَدْ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةَ زُورٍ. لاَ تَشْتَهِ بَيْتَ قَرِيبِكَ. لاَ تَشْتَهِ امْرَأَةَ قَرِيبِكَ، وَلاَ عَبْدَهُ، وَلاَ أَمَتَهُ، وَلاَ ثَوْرَهُ، وَلاَ حِمَارَهُ، وَلاَ شَيْئًا مِمَّا لِقَرِيبِكَ}**[20].

إنّ الوصايا العشر الّتي وردت في الإصحاح (20) من سفر الخروج، سبقت بتمهيد تاريخيّ، يمكن أن تجمع في مجموعتين، عموديّة وأفقيّة، أي علاقة الإنسان بالله، وعلاقة الإنسان بالجماعة[21]، والسهر على حماية المجتمع من الفساد الأخلاقيّ؛ حيث نصّت على: إكرام الوالدين[22]، وتحريم القتل[23]، وتحريم الزّنا[24]، تحريم السّرقة[25]، وتحريم شهادة الزّور[26].

2. المنظور الإنجيليّ لأعمال الخير والبرّ:

يبدو العمل الصّالح والفعل الخيريّ بمنظور أكثر شموليّة في النّصّ المسيحيّ، وهذا راجع - أساسًا - إلى البعد الرّوحيّ الّذي توصف بها الدّيانة المسيحيّة، لهذا؛ تجد أعمال البرّ والإحسان مكانتها في النّصّ الإنجيليّ، من ذلك ما جاء في روميّة: {**أَمَّا الَّذِينَ بِصَبْرٍ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ يَطْلُبُونَ الْمَجْدَ وَالْكَرَامَةَ وَالْبَقَاءَ، فَبِالْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ**}[27]، ودعوته جباة الضّرائب إلى المحبّة والتّسامح: {**لأَنَّهُ إِنْ أَحْبَبْتُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ، فَأَيُّ أَجْرٍ لَكُمْ؟ أَلَيْسَ**

19 - عبد الرّزّاق رحيم صلال، «**العبادات في الأديان السّماويّة**»، مصدر سابق، ص 95.

20 - الخروج [20: 6 – 16].

21 - جون ماك آرثر، «**تفسير الكتاب المقدّس**»، دار منهل الحياة، لبنان، ط 2، سنة 2012م، ص 182.

22 - خروج [20: 12].

23 - خروج [20: 13].

24 - خروج [20: 14].

25 - خروج [20: 15].

26 - خروج [20: 16].

27 - رومية [2: 7].

الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ ذلِكَ؟وَإِنْ سَلَّمْتُمْ عَلَى إِخْوَتِكُمْ فَقَطْ، فَأَيَّ فَضْلٍ تَصْنَعُونَ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ[28] **أَيْضًا يَفْعَلُونَ هكَذَا؟فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ**}[29]، أو لأنّ الإحسان وأعمال البرّ أصبحت لدى الكنيسة استراتيجيّة لجذب الآخر وكسب ودّه، بغرض استمالته للدّخول في الدّائرة الإيمانيّة[30].

وتتجلّى الدّعوة إلى أعمال الخير والبرّ - بشكل كبير - في العهد الجديد والمسيحيّة - عمومًا - من خلال ما يعرف بـ «الخدمة الدّينيّة/ (diakonia)» الّتي تعني ضمن السّياق الإنجيليّ: خدمة الجماعة المسيحيّة تحديدًا؛ حيث تتكرّر في مواضع مختلفة، لتصف عدّة أصناف من الخدمة؛ كخدمة موائد المحبّة[31]، كما في إنجيل لوقا: {**وَأَمَّا مَرْثَا فَكَانَتْ مُرْتَبِكَةً فِي خِدْمَةٍ كَثِيرَةٍ. فَوَقَفَتْ وَقَالَتْ: «يَا رَبُّ، أَمَا تُبَالِي بِأَنَّ أُخْتِي قَدْ تَرَكَتْنِي أَخْدُمُ وَحْدِي؟ فَقُلْ لَهَا أَنْ تُعِينَنِي!» فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا: «مَرْثَا، مَرْثَا، أَنْتِ تَهْتَمِّينَ وَتَضْطَرِبِينَ لأَجْلِ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ، وَلكِنَّ الْحَاجَةَ إِلَى وَاحِدٍ. فَاخْتَارَتْ مَرْيَمُ النَّصِيبَ الصَّالِحَ الَّذِي لَنْ يُنْزَعَ مِنْهَا»**}[32]، وجمع الصّدقات لفقراء أورشليم {**لِكَيْ أَنْقِذَ مِنَ الَّذِينَ هُمْ غَيْرُ مُؤْمِنِينَ فِي الْيَهُودِيَّةِ، وَلِكَيْ تَكُونَ خِدْمَتِي لأَجْلِ أُورُشَلِيمَ مَقْبُولَةً عِنْدَ الْقِدِّيسِينَ**}[33].

والكلمة لها دلالة - كذلك - على (الكرازة) في العهد الجديد، وهي الّتي يوضّحها إنجيل متّى بوضوح في إعلانه أنّ المسيح جاء ليخدم النّاس، وليس كي يخدموه {**كَمَا أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ، وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ»**}[34].

وكلمة كرازة تعني؛ ينادي، يبشّر، يهتف، جاء منه الاسم؛ أي كرازة، ويُقال: العمل الكرازي، ومن يكرز هو «كارز»، والأمر (اكرز)، والمثنّى: كارزان، الكارزان، والفعل كرز سريانيّ الأصل، يعني: وعظ ونادى ببشارة الإنجيل للخلاص، و«الكرازة»: هي الوعظ والتّبشير علانيّة بالحقائق الإنجيليّة خصوصًا، والمسيحية عمومًا، والكارز أو الكاروز: هو الواعظ أو المنادى بهذه البشارة[35].

---

28 - العشارون: هم جامعو الضّرائب، وكانوا - عادة - من اليهود الّذين يدفعون للرّومان ليعطوهم حقّ جمع الضرائب، وكانوا مكروهين من باقي اليهود بسبب جشعهم. انظر: "الكتاب المقدّس".

29 - متّى [6: 46– 48].

30 - عزّ الدّين عناية، المرجع السّابق، ص 106.

31 - عزّ الدّين عناية، «**الأديان الإبراهيميّة قضايا الرّاهن**»، مصدر سابق، ص 104.

32 - لوقا [10: 40– 41].

33 - رومية [15: 31].

34 - متى [20: 28].

35 - قاموس المصطلحات الكنسيّة، كلمة "الكرازة"، انظر الرّابط:

http://st - takla.org/

كما تشير الكلمة في العهد الجديد إلى أعمال الكرازة المناط بعهدة الرّسل، وبمن تطوّع من الرّهبان خدمة للكنيسة **{كَمَا أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ، وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ}**[36]، في هذا السّياق؛ نلمح، وإن قامت الكرازة المسيحيّة على التّطوّع **{إِشْفُوا مَرْضَى. طَهِّرُوا بُرْصًا. أَقِيمُوا مَوْتَى. أَخْرِجُوا شَيَاطِينَ. مَجَّانًا أَخَذْتُمْ، مَجَّانًا أَعْطُوا}**[37]، فإنّ العمل الصالح والخدمة ارتباطا - دائمًا - بالتّبشير بالإنجيل، لذا؛ كان الحرص على فعل الخير يهدف إلى نشر كلمة الرّبّ[38]، ويظهر الأمر جليًا في قوله: **{فَأَجَابَ وَقَالَ: «مَكْتُوبٌ: لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللهِ}**[39].

3. العمل الصّالح والبرّ في القرآن الكريم؛ أبعاد أخرى للإيمان:

اقترن الإيمان «بالعمل الصّالح» في القرآن الكريم حوالي (51) مرّة، وتكرّر ذلك - أيضًا - في الحديث النّبويّ، منه ما جاء في الأثر: الإيمان: هو اعتقاد بالجنان، وقول باللّسان، وعمل بالأركان، يزيد بالطّاعة، وينقص بالعصيان.

والإيمان يشمل الأعمال الظّاهرة والباطنة، والدّليل: قوله - صلى الله عليه وسلّم: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَفْضَلُهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَوْضَعُهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»[40]، وفي القرآن الكريم «يتواتر الحديث عن عمل الإنسان في القرآن؛ فقد ورد جذر عمل (360) مرّة، كما تواتر الحديث عن الصّلاح؛ فورد جذر صلح (180) مرّة، واقترن جذر عمل (93) مرّة، فيما اقترنت جذور الأفعال الثّلاثة (آمن وعمل وصلح) (88) مرّة، ما يحمل دلالة مؤكّدة على ارتباط الإيمان بالعمل الموصوف بالصّالح، وقد اقترن العمل الصّالح في هذا التّركيب **(الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) (51)** مرّة، وهي معظم ما اقترن به الإيمان مع العمل الصّالح بصيغته الصّريحة في صيغ أخرى، بلغ مجموعها (69) مرّة»[41].

إنّ هذا التّواجد والاقتران بين الإيمان والألفاظ الدّالة على العمل الصّالح، بمشتقّاته وصيغه، يحوي - بذاته - إلى أنّ الخطاب القرآنيّ ينظر إلى موضوع الإيمان من زاوية المحرّك والدّافع إلى إنتاج سلوك وقيم اجتماعيّة وثقافيّة في حياة الإنسان، من أجل تصحيح الصّورة النّمطيّة الّتي ترسّخت عند الإنسان العربيّ في الجاهليّة؛ حيث كانت عبادة الأصنام، وتكريس الفوارق الاجتماعيّة، والجمع بين الرّقي والظّلم في أبشع

36 - متى [20: 28].

37 - متى [10: 8].

38 - عزّ الدّين عناية، «**الأديان الإبراهيميّة قضايا الرّاهن**»، مصدر سابق، ص 104.

39 - متى [4: 4].

40 - وفي رواية "بضْعٌ وستونَ، والحياءُ شُعْبَةٌ من الإيمان"، زاد في رواية: "وأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطّريق"، أخرجوه، إلا (الموطّأ)، وأسقط التّرمذيّ من روايته "والحياءُ شُعْبَةٌ من الإيمان"، وعنده في أخرى "الإيمان أربعة وسبُّون بابًا"، وعند النّسائيّ في رواية أخرى "الحياءُ شعبة من الإيمان" مختصرًا، في "**السّنن الصّغرى**»، باب ذكر شعب الإيمان، رقم 5005.

41 - عبد الرّحمن حللي، «**اقتران الإيمان بالعمل الصّالح في القرآن الكريم ودلالته الحضاريّة**»، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصاديّة والقانونيّة، 27، عدد 3، سنة 2011م، ص 450.

مستوياته[42]*، وبين التّقرّب إلى الآلهة والسّعي إليها، لهذا؛ سعى القرآن - من خلال اقترانه بين الإيمان والعمل الصّحيح - إلى وضع أنموذج مجتمع يحضر فيه البعد الإنسانيّ.

هذا الاقتران القرآنيّ بين الإيمان والعمل الصّالح كان مثار إشكال عند المتكلّمين في تعريف الإيمان، وإن كان نقاش هذا الجدل له أهميّته في المبحث العقديّ؛ فإنّه - في إطار الدّرس الاجتماعيّ - يصبح ثانويًا؛ فالبحث عن معالم النّهضة القرآنيّة ومقوّماتها لا يتوقّف عند الحدّ الأدنى من الإيمان؛ بل يتعدّاه إلى المطالب التامّة للوجه الأمثل المطلوب، وتجلية هذا الوجه يمكن الكشف عنها من خلال ضمائم وسياقات الآيات الّتي اقترن فيها الإيمان بالعمل الصّالح[43].

لذلك؛ نجد القرآن - في تناوله لموضوع الإيمان في علاقته بالعمل الصّالح - يأخذ أربعة موضوعات رئيسة، تعدُّ مقدّمة تفسيريّة لفهم رؤية القرآن للإيمان، في أبعاده السّلوكيّة والاجتماعيّة، ..إلخ.

1.1. الجماعة والإيمان:

ما يلاحظ في اقتران الإيمان بالعمل الصّالح في القرآن الكريم؛ كثرة صيغ **(الَّذِينَ آمَنُوا)**، والغالب فيها جاء بصيغة الجمع؛ أي أنّ الخطاب موجّه إلى الجماعة المؤمنة، وهو ما يعني؛ أنّ إصلاح المجتمع شأن تقوم به الجماعة، وليس الفرد وحده.

والجماعة لغة: مأخوذة من الاجتماع، وهي ضدّ التّفرقة، يقال: جَمَعَ الشّيءَ عَنْ تَفْرِقة، يَجْمَعُه جَمْعاً وجَمَّعَه وأَجْمَعَه فاجتَمع، و جَمَعَ الشَّيْءَ الْمُتَفَرِّقَ فَاجْتَمَعَ[44].

وفي الاصطلاح الشّرعيّ– الإسلاميّ: استعمالها يدور على عدّة معاني:

منها ما يحدّده ابن تيمية من كون «الجماعة»: (هي الاجتماع، وضدّها الفرقة، وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسمًا لنفس القوم المجتمعين)[45].

42* لم يكن النّاس على دين واحد في الجاهليّة؛ إنّما ملل مختلفة ومذاهب شتّى، يوضح الشّهرستاني اختلاف العرب في الملّة والدّين: «ومن العرب من كان يميل إلى اليهوديّة، ومنهم من كان يميل إلى النّصرانيّة، ومنهم من كان يصبو إلى الصّابئة، ويعتقد في الأنواء اعتقاد المنجّمين في السّيارات، حتّى لا يتحرّك ولا يسكن ولا يسافر ولا يقيم إلا بنوء من الأنواء، ويقول مطرنا بنوء كذا، ومنهم من كان يصبو إلى الملائكة فيعبدهم؛ بل كانوا يعبدون الجنّ، ويعتقدون فيهم أنّهم بنات الله، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا»، انظر: الشّهرستاني، **«الملل والنّحل»**، تحقيق: محمّد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت– لبنان، 1402هـ/ 1982م، ج 2، ص 238.

43 - عبد الرحمن حللي، «**اقتران الإيمان بالعمل الصّالح في القرآن الكريم ودلالاته الحضاريّة**»، مصدر سابق، ص 451.

44 - مختار الصّحاح، ج 1/ 80، مادّة (جمع)، لسان العرب، (جمع) 8 / 53، المعجم الوسيط (جمع) 1 /135.

45 - ابن تيمية، «**مجموع الفتاوى**»، جمع وترتيب: عبد الرّحمن بن قاسم وابنه محمّد، دار الرّحمة، القاهرة، ج 3، ص 157.

وعمومًا: يمكن تلخيص دلالات مفهوم (الجماعة) في التّداوليّ الشّرعيّ الإسلاميّ في التّحديدات الآتية[46]:

أحدها: أنّها السّواد الأعظم من أهل الإسلام.

والثّاني: جماعة أئمة العلماء والمجتهدين.

والثّالث: الصّحابة (رضوان الله عليهم) على وجه الخصوص.

والرّابع: جماعة أهل الإسلام إذا أجمعوا على أمر.

والخامس: جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير.

فحضور مفهوم «الجماعة» - إذن - له ما يقوّيه، خاصّة، إذا استحضرنا الحديث المشهور الّذي يستند عليه التّفسير السّياسيّ لمفهوم الجماعة: ما رواه ابْنَ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»[47].

يفيد التّحديد اللّغويّ والاصطلاحيّ لمفهوم (الجماعة) في مقابلة التّفرّق والتّنازع إلى الاجتماع والانتظام ضمن جماعة موحّدة في أصولها ومعتقدها، ذلك ما أكّدته مجموع النّصوص الشّرعيّة؛ من الآيات والأحاديث الواردة في الحثّ على الاعتصام وملازمة الجماعة، والنّهي عن الفُرقة والاختلاف، الشّيء الّذي تؤكّده الآيات الّتي اقترن فيها الإيمان بالعمل الصّالح، والجماعة الّتي تقصدها تلك النصوص (جماعة المؤمنين عامّة)، ويندرج ضمنها كلّ مؤمن، هذا المعنى يَكْشفُ عن مركزيّة (الجماعة) في الخطاب الإسلاميّ، ويبيّن - من جهة ثانية - أنّ الصّلاح الّذي يقصده القرآن شأن تقوم به الجماعة وليس الفرد وحده، من هنا؛ التّرابط الوثيق بين (العمل الصّالح) الّذي دعت إليه الآيات، و(جماعة المؤمنين) الّتي تقوم بالصّلاح بمقتضى (الإيمان) الّذي يحملها على ذلك.

2.1. الجزاء والثّواب:

كثيرة هي المواطن التي اقترن فيها العمل الصّالح بموضوع الثّواب والجزاء الّذي ينتظر المؤمنين، منها: قوله تعالى في سورة العنكبوت: **(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ)**[48]، وهذه الأعمال تدل على أنّها داخلة في ما هو المقصود من الإيمان؛ لِأَنَّ تَكْفِيرَ

46 - أبو إسحاق الشّاطبي، «**الاعْتِصَام**»، تحقيق ودراسة: محمّد الشّقير وسعد آل حميد وهشام الصّيني، النّاشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط 1، 1429هـ/ 2008م، ج 3، ص ص 209– 210– 211.

47 - صحيح البخاري، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "سَتَرَوْنَ بَعْدِي أُمُورًا تُنْكِرُونَهَا"، رقم 7054.

48 - العنكبوت، الآية 6.

السّيئات والجزاء بِالْأَحْسَنِ مُعَلَّقٌ عَلَيْهَا، وَهِيَ ثَمَرَةُ الْإِيمَانِ، يوضح الرّازي هذا في تفسير بمثال الشّجرة الّذي في قوله: «وَمِثَالُ هَذَا شَجَرَةٌ مُثْمِرَةٌ لَا شَكَّ فِي أَنَّ عُرُوقَهَا وَأَغْصَانَهَا مِنْهَا، وَالْمَاءُ الَّذِي يَجْرِي عَلَيْهَا وَالتُّرَابُ الَّذِي حَوَالَيْهَا غَيْرُ دَاخِلٍ فِيهَا لَكِنَّ الثَّمَرَةَ لَا تَحْصُلُ إِلَّا بِذَلِكَ الْمَاءِ وَالتُّرَابِ الْخَارِجِ فَكَذَلِكَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ مَعَ الْإِيمَانِ وَأَيْضًا الشَّجَرَةُ لَوِ احْتَفَّتْ بِهَا الْحَشَائِشُ الْمُفْسِدَةُ وَالْأَشْوَاكُ الْمُضِرَّةُ يَنْقُصُ ثَمَرَةَ الشَّجَرَةِ وَإِنْ غَلَبَتْهَا عُدِمَتِ الثَّمَرَةُ بِالْكُلِّيَّةِ وَفَسَدَتْ فَكَذَلِكَ الذُّنُوبُ تَفْعَلُ بِالْإِيمَانِ»[49].

وهي المعاني نفسها الواردة في قوله تعالى: **(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ)**[50]، وكذلك: **(وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)**[51].

فيكون الارتباط بين الإيمان والجزاء والثّواب نتيجة منطقيّة للإيمان؛ أي إنّ المؤمن ينتظر أجر إيمانه، وهذا الأجر هو المحفّز الّذي يجعل الإنسان يقتنع اقتناعًا بحقيقة الإيمان، فيكون المقصود؛ أن «يطمئنّ المؤمنون العاملون على ما لهم عند الله، من تكفير للسّيئات، وجزاء على الحسنات. وليصبروا على تكاليف الجهاد وليثبتوا على الفتنة والابتلاء، فالأمل المشرق والجزاء الطيب، ينتظرانهم في نهاية المطاف»[52]، بهذا يكون للمؤمن ما يجعله يسارع إلى العمل، وفيه إشارة إلى أن تحفيز أفراد المجتمع للقيام بأعمال مهمّ ضروريّ حتّى تكون النّتائج والأعمال جيّدة.

3.1. الاستخلاف في الأرض:

ورد هذا في قوله تعالى: **(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)**[53]، وجاءت إشارات أخرى، لتدلّ على المضمون ذاته من خلال نفي المساواة بين المفسدين والمؤمنين؛ ودلالة ذلك؛ أنّ الإيمان يحمل الإنسان العامل والجاد لينظر ابتداء إلى مستقبل عمله ومصيره، لذلك؛ حفلت معظم الآيات الّتي اقترن فيها الحديث عن (الذين

---

49 - الرّازي، «**مفاتيح الغيب**»، 25/ 29.

50 - [سورة العنكبوت: (7 – 14)، تجد نفس المعنى في سورة آل عمران (53 – 61)، وسورة النّساء (52 – 59)، وسورة النّساء (122 – 127)، سورة النّساء (171 – 175)، وسورة المائدة (6 – 9)، وسورة يونس (1 – 6)، وسورة هود (6 – 12)، وسورة الرّعد (29 – 34)، وسورة إبراهيم (19 – 24)، وسورة الكهف (28 – 34) - (98 – 110)، سورة مريم (96– 98)، وسورة طه (1 – 12)، وسورة الحج (6 – 15) - (16– 23) - (47– 55) - (56– 64)، وسورة العنكبوت (53– 63)، سورة الرّوم (6– 15)، سورة لقمان (1– 11)، سورة السّجدة (12– 20)، سورة فاطر (4– 11)، سورة فصّلت (1– 11)، سورة الشّورى (16 – 22)، سورة الجاثية (23– 32)، سورة الفتح (29)، سورة الحجرات (1– 4)، وسورة المطفّفين (35 – 36).

51 - [البقرة: (24)].

52 - سيد قطب، «**في ظلال القرآن**»، 5/ 2722.

53 - [النّور: (53)].

آمنوا وعملوا الصّالحات) بالحديث عن النّجاة في الآخرة، والجزاء، والثّواب الذي يناله المؤمنون العاملون للصّالحات، وهو جزاء مختلف عن الوعد الإلهيّ بالنّجاة؛ إنّما يزيد الله هذا الصّنف طمأنينة إلى نوعيّة الأجر وأحوال الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات يوم القيامة، فإضافة إلى ما اقترن من الحديث عن الجنّة للّذين آمنوا وعملوا الصّالحات (تكرّر في 23 آية)، تكرر مع هذه الآيات الوعد بالخلود والبشارة[54]، وتكفير الذّنوب، وتوفية الأجر[55]، وعدم الخوف، ومضاعفة الجزاء الّذي وصف بأنّه كبير وغير ممنون ومن فضل الله[56].

4.1. القول والعمل:

نجد إشارة قويّة في سورة الشّعراء توضّح المقصد القرآنيّ من الإيمان الّذي يجمع بين القول والفعل، ذُكر ذلك في سياق الحديث عن فئة الشّعراء: **(وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ)**[57].

فيكون العمل الذي يقصده القرآن - بذلك - ويحفز المؤمن إليه العمل الّذي ينتج أفعالًا وأعمالًا في الواقع الاجتماعيّ، ويوافق سريرة الإنسان ويجمع بين الفعل والقول.

وهناك جملة إشارات أخرى لعلاقة الإيمان بالعمل الصالح؛ ففي سورة العصر ربط بين الفلاح والإيمان والعمل الصّالح والصّبر على أدائهما **(وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)**[58]، يقول الطّبري في تفسيره لهذه السّورة: «إلّا الّذين صدّقوا الله ووحّدوه، وأقرّوا له بالوحدانيّة والطّاعة، وعملوا الصّالحات، وأدّوا ما لزمهم من فرائضه، واجتنبوا ما نهاهم عنه من معاصيه، واستثنى الّذين آمنوا من الإنسان، لأنّ الإنسان بمعنى الجمع، لا بمعنى الواحد)[59]، وعلّق الطّاهر بن عاشور (1393هـ) عليها موضّحًا دخول الصّبر بين الإيمان والعمل، بقوله: «وأنت إذا تأملت وجدت أصل التّديّن والإيمان من ضروب الصّبر، فإنّ فيه مخالفة النّفس هواها ومألوفها في التّصديق بما هو مغيّب عن الحس الذي اعتادته، وبوجوب طاعتها واحدًا من جنسها لا تراه يفوقها في الخلقة، وفي مخالفة عادة آبائها وأقوامها من الدّيانات السّابقة، فإذا صار الصّبر خُلُقًا لصاحبه، هوّن عليه مخالفة ذلك كلّه لأجل الحقّ والبرهان، فظهر

---

54 - [البقرة: (25)].

55 - [العنكبوت: (7)].

56 - عبد الرّحمن حللي، «**اقتران الإيمان بالعمل الصّالح في القرآن الكريم ودلالاته الحضارية**»، مصدر سابق، ص 455.

57 - [الشّعراء: (214– 226)].

58 - [العصر: (1 – 3)].

59 - الطّبري، «**جامع البيان في تأويل القرآن**»، 24 - 590.

وجه الأمر بالاستعانة على الإيمان وما يتفرع عنه بالصّبر؛ فإنّه خلق يفتح أبواب النّفوس لقبول ما أمروا به من ذلك»[60]، لهذا؛ جاءت الدعوة إلى أداء الصّلاة مقرونة بالصّبر في مواطن من القرآن الكريم، منها: قوله تعالى **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ.)**[61] وقوله تعالى **(وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)**[62].

إنّ ما تقدّمه نصوص الأديان الإبراهيميّة من نصوص، تحثّ على العمل الصالح والإيمان، يضعنا أمام جوهر الخطاب الدّينيّ، المتمثّل في إصلاح الواقع الاجتماعيّ للإنسان، وقد تبيّن أنّ اقتران الإيمان بالعمل الصّالح في الخطاب القرآنيّ يعطي جملة إشارات دالّة على السّلوك الّذي ينبغي للمؤمنين أن يتّصفوا به، وكلّ الدّلالات الّتي جاءت بها صيغ (الذين أمنوا) و(عملوا الصالحات) تؤكّد على أنّ القرآن جاء إلى الإنسان من أجل إصلاح مجتمعه، وفق منظور جديد يتصالح فيه الإنسان مع الإنسان، واقع يرسم منهجًا يجمع بين خطاب الآخرة (الجنة والنّار، البعث والجزاء، ...إلخ)، والإيمان بالعمل وضرورته لقيام حضارة إنسانيّة، هذه الثّنائيّة غير حاضرة بنفس الكيفيّة في العهد القديم والنّصوص اليهوديّة؛ لأنها مثقلة بالمعطى الثّقافيّ والسّياق التّاريخيّ الّذي أنتج النّصّ، هذا لا يلغي الاهتمام بالعمل الصّالح في الخطاب اليهوديّ؛ فأعمال الصّدقة الّتي تؤكّد عليها النّصوص التّوراتيّة تكشف أصالة النّصّ، وسعيه إلى خلق مجتمع متضامن متساوٍ، وكذلك الأمر في النّصّ المسيحيّ الإنجيليّ؛ بل إنّ نصوصه تعطي مساحة أكبر لفعل الخير والإحسان في علاقته بالإيمان، من خلال «أعمال الكرازة» و«الخدمة الاجتماعيّة» اللّتين عبّرت عنهما أعمال الكنائس المسيحيّة بمختلف توجهاتها الكنسيّة، وبغضّ النّظر عن النّقاش العقديّ الّذي ينبثق عن النّصوص في تناولها لموضوع الإيمان؛ فإنّه من خلال مدارسة موضوع الإيمان واقترانه بالعمل الصّالح والإحسان وأفعال الخير عمومًا، يقدّم لنا منهجًا في محاولة للنّظر في النّصوص بخلفيّة تاريخيّة تفصح عن حضور المعطى الثّقافيّ والاجتماعيّ فيها، وتكشف كذلك تفاعل الدّينيّ والتّاريخيّ.

II. تجلّيات الإيمان السّلوكيّة بحث في رموزه الاجتماعيّة:

1. التّجليّات الاجتماعيّة للإيمان اليهوديّ:

يظهر من التّشريع التّوراتيّ أنّ الإيمان اليهوديّ مخالف لمنطق الإيمان المسيحيّ والإسلاميّ، في تعبيراته الاجتماعيّة، فالأعمال والطّقوس الّتي يحفل بها العهد القديم، تكشف عن ارتباطات اجتماعيّة، يحرص العهد العتيق على تشييدها وحماية الإنسان اليهوديّ داخلها، لهذا؛ تعمل الشّريعة التّوراتيّة على إلزام

60 - الطّاهر بن عاشور، «التّحرير والتّنوير»، الدّار التونسيّة للنّشر، تونس، 1984م، ج 1، ص 478.

61 - [البقرة: (152)].

62 - [البقرة: (44– 45)].

الفرد بهذه الطّقوس في أدقّ تفاصيلها، إيمانًا منها بخصوصيّة الشّخصيّة اليهوديّة؛ فالإيمان لا يكتمل إلّا بأداء هذه الشّعائر والتزام المؤمن اليهوديّ بتقديم محرقات لنيل رضا الرّبّ.

إنّ مهمّة الدّارس في قضايا الكتاب المقدّس مهمّة صعبة في إبراز علاقات الإيمان وتعبيراته الاجتماعيّة - فرديّة كانت أو جماعيّة - لأنّ حضور الإيمان بما هو قضايا غيبيّة، غير حاضرة بنفس الحماسة الّتي توجد بها في القرآن المجيد؛ إذ إنّ العهد القديم - بخلاف النّصّ القرآنيّ - لا يركّز كثيرًا على البعد الأخرويّ للمؤمن، لهذا؛ نجد قضايا الإيمان بالجنّة والنّار والآخرة والسّاعة والبعث، غير حاضرة بنفس الكيفيّة الّتي يتناولها بها القرآن؛ لأنّ العهد القديم انصرف إلى البعد الدّنيويّ أكثر، وإلى تحقيق جنّة شعب إسرائيل في الدّنيا قبل الآخرة، وتتجلّى صعوبة مقاربة التّعبير الاجتماعيّ للإيمان اليهوديّ ضمن قضايا الآخرة، من كون العهد القديم يقدّم مدخلًا آخر في توجيه جماعة المؤمنين، ويحرص على تنظيم جماعة لها خصوصيّتها الثّقافيّة والاجتماعيّة، ونرصد هذا التّحوّل في جعل الإيمان نقطة ارتكاز وتحوّل بين العالم المادّيّ المحسوس والعالم ما فوق الإنسان وقوانينه؛ فالإيمان وحده - فقط - الذي يستطيع أن يشكّل جسر التّواصل بينهما.

وتقدّم فقرات التّوراة والعهد القديم جملة مؤشّرات على الأبعاد الاجتماعيّة الّتي يحرصان على أن ينتظم المتديّن والمؤمن اليهوديّ من خلالهما، رغم ما يتّسم به الإيمان اليهوديّ من التّداخل مع المعطى التّاريخيّ والثّقافيّ في السّياق العامّ لميلاد الدّين اليهوديّ وتكوينه، وتتجلّى جوانب الفعل الاجتماعيّ الّذي يقدّمه النّصّ اليهوديّ من خلال العناصر الآتية:

1.1. الأنبياء ومسؤوليّة حماية النّسيج الاجتماعيّ اليهوديّ:

تتنوّع مسؤوليّة الأنبياء في العهد القديم تبعًا لسياقات الحديث عنهم، بين مسؤوليّة دينيّة تشريعيّة، واجتماعيّة سياسيّة، ويظهر دورهم في صون المجتمع بالإيمان، كما هو الأمر مع إبراهيم الّذي جعله الله أبًا لأمم كثيرة، لا لليهود وحسب؛ بل للأمم، وفي ذلك إشارة إلى مسؤوليّته في نشر تعاليم الدّين وهداية الأمم وفق غاية الله، وموسى هو (مخلّص الشّعب)، وهذا دور المسؤول، فكانت الوصيّة الأولى أخلاقيّة[63].

يقدّم سفر التّكوين - من خلال قصّة إبراهيم - أنموذجًا على هذا؛ إذ لولا إيمان إبراهيم ما استطاع أن يقوم بتلك الأعمال الّتي يتداخل فيها المعطى الغيبيّ بالمعطى الإنسانيّ؛ **(بِالإِيمَانِ إِبْرَاهِيمُ لَمَّا دُعِيَ أَطَاعَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ عَتِيدًا أَنْ يَأْخُذَهُ مِيرَاثًا، فَخَرَجَ وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ إِلَى أَيْنَ يَأْتِي. بِالإِيمَانِ تَغَرَّبَ فِي أَرْضِ الْمَوْعِدِ كَأَنَّهَا غَرِيبَةٌ، سَاكِنًا فِي خِيَامٍ مَعَ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ الْوَارِثَيْنِ مَعَهُ لِهذَا الْمَوْعِدِ عَيْنِهِ. لأَنَّهُ**

63 - الأب لويس الخوند، «**تعليم الكنيسة الاجتماعيّ**»، جامعة الرّوح القدس، الكسليك– لبنان، 2006م، استرجعتها 21/ 08/ 2014م، انظر الرّابط:

http://www.niabatsarba.com

كَانَ يَنْتَظِرُ الْمَدِينَةَ الَّتِي لَهَا الأَسَاسَاتُ، الَّتِي صَانِعُهَا وَبَارِئُهَا اللهُ. فقال إبراهيم للرب «أَيُّهَا السَّيِّدُ الرَّبُّ، مَاذَا تُعْطِينِي وَأَنَا مَاضٍ عَقِيمًا، وَمَالِكُ بَيْتِي هُوَ أَلِيعَازَرُ الدِّمَشْقِيُّ؟» وَقَالَ أَبْرَامُ أَيْضًا: إِنَّكَ لَمْ تُعْطِنِي نَسْلاً، وهودا ابْنُ بَيْتِي وَارِثٌ لِي)[64].

إنّ الإيمان اليهوديّ الّذي يتّخذ من الطّقوس والشّعائر تجلٍّ له، يفتح آفاق أخرى في دراسة البنية الاجتماعيّة للمجتمع الدّينيّ اليهوديّ؛ حيث إنّ توظيف المدخل الأنثربولوجيّ والأيثولوجيّ يُظهر الوعي الاجتماعيّ للشّخصيّة اليهوديّة، في بنية الرّموز والطّقوس بمختلف تعبيراتها، بحيث تظهر الأعمال الشّعائريّة الّتي يقدّمها سفر اللّاويّين، طقوس التّأسيس وطقوس العبور ووظائفها الرّمزيّة في المجتمع اليهوديّ، لكن؛ ما علاقتها بالإيمان؟ وكيف تساهم في توجيه السّلوك الاجتماعيّ اليهوديّ؟

يبدو الرّبط بين مضمون هذا الكلام وإيمان إبراهيم المذكور في الفقرات السّابقة يفتقد إلى نصوص توراتيّة تدعمه، غير أنّ تدقيق النّظر في ثنايا أسفار العهد القديم يتّضح الأمر، من خلال ما يقدّمه سفر اللّاويين الّذي جمع عبادة الله في إسرائيل بالعرض اللّاهوتيّ لشعائر العهد القديم؛ لأنّ كلّ الشّعائر الّتي ينظمها السّفر مع الصّعوبة الّتي يعترضها اليوم في تطبيقها؛ لأنّ موسى - عليه السّلام - افترض سياقًا معيّنًا للفهم التّاريخيّ، يتّضح من خلالها ما يدعو إليه مفسّرو العهد القديم بضرورة التّركيز على الطّابع المقدّس والإلهيّ الكامن وراءها[65]، عوض النّظر في طابعها اللّاهوتيّ.

لذلك؛ نصف الإيمان الإبراهيميّ في الحادثة السّابقة أنّه ينتقل إلى مستوى التّداخل مع وظيفة الرّموز والطّقوس كوسيلة للاتصال بالمقدّس؛ إذ تحوّل الإيمان إلى وسيط مهد إلى التّرحال الاجتماعيّ استجابة لنداء الإيمان، فلولا الإيمان ما استطاعت الجماعة المؤمنة مع إبراهيم أن تستوعب المتغيّرات الاجتماعيّة الّتي ظهرت فيهم، لتكون النّتيجة الابن المنتظر رغم غياب الشّروط البيولوجية الطبيعيّة للولادة (عجوز، عقيم)، بهذا المعنى أصبح للإيمان وظيفة رمزيّة؛ كطريق للتّصرّف والفعل الجماعيّ الذي يُنشَّط بواسطته الوعي الجمعيّ، وتجهيزه لاستقبال هذه التّحوّلات، والمهمّ؛ أنّ الإيمان استحال إلى فعاليّة رمزيّة يُدخَل بها في حالة ذهنيّة جماعيّة تتّسم بالقداسة، وتتجلّى عندما تنخرط الجماعة في ممارسة شعيرة وطقس دينيّ، نفس الأمر قام به الإيمان في هذا المقطع من قصّة إبراهيم.

وتقدّم قصّة موسى أنموذجًا آخر للأدوار الاجتماعيّة للإيمان اليهوديّ؛ فتجربة بني إسرائيل مع موسى وفرعون مليئة بالأحداث الّتي تشكّل مجتمعة وحدة تختزل أبعاد الخطاب الدّينيّ اليهوديّ للإنسان، تصلح

64 - تكوين [15: (2 - 3)].

65 - جون مالك آرثر، «**تفسير الكتاب المقدّس**»، دار منهل الحياة، القاهرة، ط 2، 2012م، ص 216.

للاستدلال بها، والانطلاق منها لفهم العقلية اليهوديّة في مسيرتها وتفسيرها، من أجل بناء مجتمع منسجم وموحّد على أساس من الرّابطة الدّينيّة.

يظهر (هارون) في القصّة بوظيفته في الإبلاغ والإقناع، بما يتوفّر عليه من مؤهّلات بلاغيّة وخطابيّة، وهو السّبب الّذي جعل موسى يطلب من الله اصطحابه معه في مهمّته الدّعويّة، جاء في سفر الخروج:

(فَقَالَ مُوسَى لِلرَّبِّ: «اسْتَمِعْ أَيُّهَا السَّيِّدُ لَسْتُ انَا صَاحِبَ كَلامٍ مُنْذُ امْسِ وَلا اوَّلِ مِنْ امْسِ وَلا مِنْ حِينِ كَلَّمْتَ عَبْدَكَ بَلْ انَا ثَقِيلُ الْفَمِ وَاللِّسَانِ».

فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «مَنْ صَنَعَ للإنسان فَما أَوْ مَنْ يَصْنَعُ أَخْرَسَا أَوْ أَصَمَّ أَوْ بَصِيرا أَوْ أَعْمَى؟ أَمَا هُوَ أَنَا الرَّبُّ؟

فَالآنَ اذْهَبْ وَأَنَا أَكُونُ مَعَ فَمِكَ وَأُعَلِّمُكَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ».

فَقَالَ: «اسْتَمِعْ أَيُّهَا السَّيِّدُ أَرْسِلْ بِيَدِ مَنْ تُرْسِلْ».

فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى مُوسَى وَقَالَ: «أَلَيْسَ هَارُونُ اللاوِيُّ أَخَاكَ؟ أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ هُوَ يَتَكَلَّمُ وَأَيْضا هَا هُوَ خَارِجٌ لاسْتِقْبَالِكَ. فَحِينَمَا يَرَاكَ يَفْرَحُ بِقَلْبِهِ

فَتُكَلِّمُهُ وَتَضَعُ الْكَلِمَاتِ فِي فَمِهِ وَأَنَا أَكُونُ مَعَ فَمِكَ وَمَعَ فَمِهِ وَأُعْلِمُكُمَا مَاذَا تَصْنَعَانِ

وَهُوَ يُكَلِّمُ الشَّعْبَ عَنْكَ. وَهُوَ يَكُونُ لَكَ فَما وَأَنْتَ تَكُونُ لَهُ إِلَها.

وَتَأْخُذُ فِي يَدِكَ هَذِهِ الْعَصَا الَّتِي تَصْنَعُ بِهَا الآيَاتِ»)[66].

يكشف النّصّ أنّ هارون - بإيمانه القويّ ورغم شبابه - استطاع تحدّي العوائق الاجتماعيّة والثّقافيّة الّتي كانت تقف أمام من كان في سنّه[67*]، وفي نصّ آخر؛ يوضّح أنّ إرادة يهوه (יְהוָה) سوف تتّجه إلى تعنّت فرعون، وهو ما يعني أنّ تجربة موسى وهارون سوف تطول وتحتاج إلى صبر وقوّة في الحجّة، جاء في سفر الخروج الإصحاح السّابع:

(فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «انْظُرْ! أَنَا جَعَلْتُكَ إِلَها لِفِرْعَوْنَ. وَهَارُونُ أَخُوكَ يَكُونُ نَبِيَّكَ.

أَنْتَ تَتَكَلَّمُ بِكُلِّ مَا آمُرُكَ وَهَارُونُ أَخُوكَ يُكَلِّمُ فِرْعَوْنَ لِيُطْلِقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِهِ.

66 - الخروج [4: (10 - 17)].

67* وهو الافتراض الذي كان عند موسى حين طلب من الله أن يعضده بهارون، غير أنّ موسى أشار إلى ذلك بقوّة البلاغة في الخطاب، وهي جانب من جوانب الإكراهات الاجتماعيّة الّتي تصاحب الأنبياء والرّسل.

وَلَكِنِّي أُقَسِّي قَلْبَ فِرْعَوْنَ وَأُكَثِّرُ آيَاتِي وَعَجَائِبِي فِي أَرْضِ مِصْرَ.

وَلا يَسْمَعُ لَكُمَا فِرْعَوْنُ حَتَّى أَجْعَلَ يَدِي عَلَى مِصْرَ فَأُخْرِجَ أَجْنَادِي شَعْبِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ بِأَحْكَامٍ عَظِيمَةٍ)[68].

ومن خلال نصوص القصّة كما يحكيها سفر الخروج يظهر دور موسى وهارون في إخراج بني إسرائيل من قهر فرعون، بعد الأحداث وعقاب الضّربات الّتي أرساها يهوه (יְהוָה) لفرعون كي يتّعظ، وقد استطاعت رواية الكتاب المقدّس أن تظهر جانب من الدّور الاستراتيجي لـ (هارون) في مسيرة موسى؛ إذ إنّ مصاحبته وصبره على أذى فرعون، والإسهام في الإقناع ببلاغته يعكس مستويات الإدراك بأهميّة الإيمان بالله، كما يكشف في جانب آخر قوّة المرحلة العمريّة، وكيف يمكن أن تساهم في إحداث تحوّلات جوهريّة إذا ما عُوملَت جيّدًا.

فالأنبياء - إذ يعلنون كلمة الله - يتوّعدون، يعظون، يعدون، ويعزّون؛ لهذا آشعيا يثور على العبادة الفارغة غير المتجسِّدة رحمةً، وهوشع يعاند الخيانة الزّوجيّة، ويحرّر فتنجح المحبّة، كما يبيّن العهد القديم عن أنبياء تجلّى دورهم ومكانتهم في فعلهم الاجتماعيّ، ومثال على ذلك: نبي (عاموس) الّذي وصفته اللّاهوت الكتابيّ بنبيّ «العدالة الاجتماعيّة والمساواة بين الأغنياء والفقراء»[69].

1.2. فكرة خضوع الإنسان ومستوياته الاجتماعيّة:

كلمة (الخضوع): كلمة يونانيّة تدلّ على الخضوع أو التّبعيّة، وهي تأتي بصيغة المبني للمعلوم، لتعني وضع الأشياء في ترتيب صحيح؛ أي تكون متتابعة، وتأتي في صيغة المبني للمجهول لتدلّ - عادةً - على أنّ الشّخص خاضع لشخص ما، والفعل - عمومًا - يعني؛ إمّا إخضاع الشّخص نفسه طوعًا، أي بحرّيّته، لشخص آخر، أو أن يصبح خاضعًا قسرًا بدافع الخوف[70]، **ويراد** بمعنى (الخضوع) في التّفسير الكتابيّ: «الموقف الإيجابيّ المتّزن بين التّمرّد والخنوع»، ويقصد به - كذلك - أنّه: «تصرّف روحانيّ يرى الله في المشهد بينك وبين السّلطة، أمّا التّمرّد والخنوع؛ فهما تصرّفات بشريّة مع السّلطة في حدّ ذاتها، دون اعتبار لمشيئة الله»[71].

---

68 - الخروج [7: (1 - 4)].

69 - الأب لويس الخوند، «**تعليم الكنيسة الاجتماعيّ**»، جامعة الرّوح القدس، الكسليك – لبنان، 2006م، استرجعتها 21/ 08/ 2014م. انظر الرّابط:

http://www.niabatsarba.com

70 - انظر: مقالة بعنوان: «**الطّاعة والخضوع في الكتاب المقدّس ومعنى خضوع المرأة لزوجها**»، استرجعتها يوم 23/ 12/ 2014م.

http://www.orsozox.com/forums/showthread.php?t=65322

71 - القمص زكريّا بطرس، "الخضوع ومشيئة الله"، النّاشر: www.fatherzakaria.com

نفهم هذا من خلال ما جاء في دعوة الأسفار الخمسة: أن {**أخضِعوا الأرض**} وتظهر فيها إرادة الخالق في الإنسان، وفعله في الزّمان والمكان، وفكرة (الخضوع) تنوّعت مواطن الإشارة إليها - في مستوياتها المختلفة - في العهد القديم على النّحو الآتي:

- في سفر أخبار الأيام الثّاني: {**الآنَ لاَ تُصَلِّبُوا رِقَابَكُمْ كَآبَائِكُمْ، بَلِ اخْضَعُوا لِلرَّبِّ وَادْخُلُوا مَقْدِسَهُ الَّذِي قَدَّسَهُ إِلَى الأَبَدِ، وَاعْبُدُوا الرَّبَّ إِلهَكُمْ فَيَرْتَدَّ عَنْكُمْ حُمُوُّ غَضَبِهِ**}[72]؛ أي الخضوع لعبادة الرّبّ وحده والدّخول في طوعه، وفي سفر سيراخ: {**اخْضَعُوا رِقَابِكُمْ تَحْتَ النِّيْرِ وَ لِتَتَّخِذَ نُفُوْسُكُمْ التِادِيبُ فَانٍ وِجْدَانِهَ قَرِيبٌ**}[73].

- والمكابيين الأوّل: {**وَ مَا فَعَلُوْا فِيْ بِلادِ إِسْبَانِيَةً وَ اسْتِيْلاؤُهُمْ عَلَى مَعَادِنِ الْفِضَّةِ وَ الْذَّهَبِ الَّتِيْ هُنَاكَ وَأَنَّهُمْ اخْضَعُوا كُلَّ مَكَانٍ بِمَشُوْرَتِهِمْ وَطُولِ أَنَاتِهُمْ**}[74]، وهي تفيد الخضوع السّياسيّ لعدد من القبائل.

- يعقوب: «**فَاخْضَعُوا لِلهِ. قَاوِمُوا إِبْلِيسَ فَيَهْرُبَ مِنْكُمْ**»[75].

- بطرس الأولى: «**فَاخْضَعُوا لِكُلِّ تَرْتِيبٍ بَشَرِيٍّ مِنْ أَجْلِ الرَّبِّ. إِنْ كَانَ لِلْمَلِكِ فَكَمَنْ هُوَ فَوْقَ الْكُلِّ**»[76].

- بطرس الأولى [5: 5]: «**كَذلِكَ أَيُّهَا الأَحْدَاثُ، اخْضَعُوا لِلشُّيُوخِ، وَكُونُوا جَمِيعًا خَاضِعِينَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ، وَتَسَرْبَلُوا بِالتَّوَاضُعِ، لأَنَّ: «اللهَ يُقَاوِمُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، وَأَمَّا الْمُتَوَاضِعُونَ فَيُعْطِيهِمْ نِعْمَةً**»[77]؛ أي الانقياد للسّلطة الدّينيّة والرّقابة الاجتماعيّة الّتي يشكّلها (الشّيوخ).

1.3. الكهنة بين الإيمان والوظيفة الاجتماعيّة:

كلمة الكاهن في العبريّة تعني: كوهين (אלי כהן)، وهو سبيل الكهانة: الأداة المقدّسة المختارة للوساطة بين الإنسان والخالق، ويرتبط تاريخ الكهانة بين العبرانيّين بظهورهم في التّاريخ؛ إذ يبدو أنّ كلّ ربّ أسرة عبرانيّة، وأوّل الذّكور فيها، كانا يقومان بدور الكهّان، وقد ظلّ هذا الوضع قائمًا حتّى زمن الخروج من مصر، أو الهجرة منها، حين انحصرت الكهانة في قبيلة اللّاويين؛ لأنّ آباءهم رفضوا عبادة العجل الذّهبيّ[78]،

72 - أخبار الأيّام الثاني [30: 8].

73 - سيراخ [51: 34].

74 - المكابيين الأوّل [8: 3].

75 - يعقوب [4: 7].

76 - بطرس الأولى [2: 13].

77 - بطرس الأولى [5: 5].

78 - عبد الوهاب المسيري، «**موسوعة اليهود واليهوديّة والصّهيونيّة**»، دار الشّروق، مصر - القاهرة، الطّبعة الأولى، 1999م، ج 2، ص؟

وقد تطوّرت أدوار هذه الفئة وطريقة تدخّلهم في تنظيم الشّريعة، ممّا مكّنهم من تعزيز موقعهم الاجتماعيّ، في مرحلة "الأسرة الحشمونيّة (164 ق.م)" - خاصّة - حيث أصبح رئيس الدّولة قائد القوات والكاهن الأعظم في آن واحد، وتُعَدُّ هذه الفترة الزّمنيّة قمّة ازدهار المؤسّسة الكهنوتيّة، وظهرت إبّان حكم الأسرة الحشمونيّة فرق يهوديّة مختلفة، من أهمّها؛ الصّدوقيّون: الّذين كانوا - أساسًا - من كبار الكهنة وأعضاء السّنهدرين، ويمثّلون مصالحهم، وظهر في المقابل؛ فريق الفريسيّين الّذين أكّدوا الجانب الرّوحيّ في اليهوديّة على حساب الجانب القربانيّ، مع أنّهم كانوا يضمّون في صفوفهم بعض الكهنة من متوسّطي الحال، وقد ازداد الفريسيّون شعبيّةً وازداد الكهنة عُزلةً، وخصوصًا، أنّهم تحوّلوا إلى أُلعوبة في يد الحكّام، وظهرت بينهم صراعات عديدة، كما حدث في حالة الكاهن الأعظم أونياس الرّابع؛ الّذي فرَّ إلى مصر، وأسّس هيكلًا وعبادة قربانيّة مستقلّة فيها (145 ق.م)، وذلك بتشجيع من البطالمة أعداء حكّام فلسطين السّلوقيّين، وعند تَولّي هيرود الحكم (37 ق.م)، لم يكن بوسعه أن يضطّلع بدور الكاهن الأعظم؛ لأنّه كان من أصل أدوميّ، فكان يعيِّن كبير الكهنة على هواه"[79].

تتجلى وظيفة الإيمان ومسؤوليّته الّتي تقوم بها فئة الكهنة في مهمّة تعليم الشّريعة وتفسيرها، حتّى يمكن تطبيقها في الحياة، وللّاويين في هذا مسؤوليّة أوسع **(فَتَعْمَلُ حَسَبَ الأَمْرِ الَّذِي يُخْبِرُونَكَ بِهِ مِنْ ذلِكَ الْمَكَانِ الَّذِي يَخْتَارُهُ الرَّبُّ، وَتَحْرِصُ أَنْ تَعْمَلَ حَسَبَ كُلِّ مَا يُعَلِّمُونَكَ. حَسَبَ الشَّرِيعَةِ الَّتِي يُعَلِّمُونَكَ وَالْقَضَاءِ الَّذِي يَقُولُونَهُ لَكَ تَعْمَلُ. لاَ تَحِدْ عَنِ الأَمْرِ الَّذِي يُخْبِرُونَكَ بِهِ يَمِينًا أَوْ شِمَالًا. وَالرَّجُلُ الَّذِي يَعْمَلُ بِطُغْيَانٍ، فَلاَ يَسْمَعُ لِلْكَاهِنِ الْوَاقِفِ هُنَاكَ لِيَخْدِمَ الرَّبَّ إِلهَكَ، أَوْ لِلْقَاضِي، يُقْتَلُ ذلِكَ الرَّجُلُ، فَتَنْزِعُ الشَّرَّ مِنْ إِسْرَائِيلَ)**[80]، ويبرز - هنا - بشكل أعمق الفعل والأثر الاجتماعيّ للدّين اليهوديّ من خلال طائفة اللّاويين، ودورها في تأطير السّلوك الدّينيّ للجماعة اليهوديّة.

تقدّم التّوراة الأبعاد الاجتماعيّة الّتي يمكن للإيمان اليهوديّ أن يقوم بها، أو يساهم في تعزيزها، كما جسّده إيمان الأنبياء ورجال الدّين من خلال فئة الكهنة، وهناك مستويات أخرى للتّجليّات الاجتماعيّة للإيمان على المستوى الفرديّ والجماعيّ؛ فإن ربَّ الأسرة مسؤول عن تربية أولاده، والمقصود عناصر الإيمان الأساسيّة، وتعليم أخلاقيّ ينصبّ حول الشريعة الإلهيّة[81].

79 - عبد الوهاب المسيري، «**موسوعة اليهود واليهوديّة والصّهيونيّة**»، ج 2، مصدر سابق، ص؟

80 - تث [17: 10 - 11].

81 - تث [6: 7].

III. الدّلالات الاجتماعيّة للإيمان المسيحيّ:

إنّ البحث في الدّلالة الاجتماعيّة والأبعاد الإيمانيّة للدّين المسيحيّ، يضعنا أمام أنموذج آخر في تجلّيات الإيمان، والأثر الّذي يجب أن يتركه في الواقع الإنسانيّ، ذلك أنّ فكرة الخلاص تنعكس على باقي المكوّنات العقديّة لدى المسيحيّين، لهذا؛ احتدم الصّراع اللّاهوتيّ والعقائديّ - على مرّ عصور كثيرة - للإجابة عن السّؤال: هل الحصول على الخلاص يكون عن طريق الإيمان أم عن طريق الأعمال؟ فإذا كانت اليهوديّة ديانة أعمال من خلال الطّقوس والشّعائر الكثيرة الّتي يفرضها العهد القديم على اليهود؛ فإنّ المسيحيّة تربط الفرد والإنسان بالخلاص والتّسامي لحظة الإيمان بيسوع المسيح، لذلك؛ نجد أنّ المسيحيّ المرتبط بالمسيح يتعهّد الواقع الإنسانيّ برمّته؛ واقع النّجاح والفشل، وواقع الفرح والحزن، وواقع التّعزية والألم، والمسيحيّ المرتبط بالمسيح يقبل الواقع لا ليرضخ له؛ بل ليغيّره ويتخطّاه، راسمًا فيه صورة القيم السّامية المطلقة الّتي يبشّر بها الإنجيل؛ فالمسيحيّة - اليوم - تضطلع بمسؤوليّة مشتركة مع جميع الأديان؛ إذ لا بدّ لها أن تضطلع بدورها في معترك الحياة اليوميّة، والاعتناء بمسؤوليّة قهر عبثيّات أيّامنا الحاضرة بما يحتشد فيها من تحديّات وما يتآكلها من شكوك[82].

وهذه غاية الإيمان بالمسيح، حيث تجعل العقيدة المسيحيّة الإيمان ذا ارتباط وثيق بالمسيح، والمسيحيُّ الذي ارتضى لنفسه الارتباط بالمسيح، ينبغي له أن يضع نفسه إزاء اختيار جوهريّ له معان وأبعاد اجتماعيّة ملزمة؛ «فإمّا أن ينقلب عاملَ خير وسلام في المجتمع، وإما أن ينسلخ عن المسيح، والطّريق الوحيدة إلى تحمّل هذه المسؤوليّة في عقيدة الإيمان المسيحيّ، قد سبق المسيح نفسه فعيّنها في ممارسة المحبّة الّتي لا تشترط ولا تُقصي أحدًا، حتّى الأعداء أنفسهم، إنّها المحبّة الّتي تقود إلى محاربة الأنانيّة وإخلاء الذّات، والغفران والمسامحة دون قيد أو شرط، وخدمة الآخرين في تجرّد ونزاهة، وعدم انتظار المكافأة المعزّية»[83].

جاء في إنجيل مرقس: (**وَقَالَ لَهُمُ: اذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعَ وَاكْرِزُوا بِالإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا. مَنْ آمَنَ وَاعْتَمَدَ خَلَصَ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ يُدَنْ. وَهَذِهِ الآيَاتُ تَتْبَعُ الْمُؤْمِنِينَ: يُخْرِجُونَ الشَّيَاطِينَ بِاسْمِي وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَةٍ جَدِيدَةٍ. يَحْمِلُونَ حَيَّاتٍ وَإِنْ شَرِبُوا شَيْئاً مُمِيتاً لاَ يَضُرُّهُمْ وَيَضَعُونَ أَيْدِيَهُمْ عَلَى الْمَرْضَى فَيَبْرَؤُونَ**)[84]، وفي إنجيل متّى: (**طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. طُوبَى لِلْحَزَانَى لأَنَّهُمْ يَتَعَزَّوْنَ طُوبَى لِلْوُدَعَاءِ لأَنَّهُمْ يَرِثُونَ الأَرْضَ، طُوبَى لِلْجِيَاعِ وَالْعِطَاشِ إِلَى الْبِرِّ لأَنَّهُمْ يُشْبَعُونَ. طُوبَى لِلرُّحَمَاءِ لأَنَّهُمْ يُرْحَمُونَ. طُوبَى لِلأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ لأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللَّهَ. طُوبَى لِصَانِعِي السَّلاَمِ لأَنَّهُمْ أَبْنَاءَ اللَّهِ يُدْعَوْنَ. طُوبَى لِلْمَطْرُودِينَ**

82 - مشير باسيل عون، «**محنة الإيمان اجتهادات ومساءلات في الفكر الدّينيّ المسيحيّ**»، دار المشرق، بيروت - لبنان، الطّبعة الأولى، 2005م، ص 159.

83 - «**محنة الإيمان اجتهادات ومساءلات في الفكر الدّينيّ المسيحيّ**»، مرجع سابق، ص ص 159– 160.

84 - مرقس [16: (16 - 18)].

مِنْ أَجْلِ الْبِرِّ لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. طُوبَى لَكُمْ إِذَا عَيَّرُوكُمْ وَطَرَدُوكُمْ وَقَالُوا عَلَيْكُمْ كُلَّ كَلِمَةٍ شِرِّيرَةٍ مِنْ أَجْلِي كَاذِبِينَ، افْرَحُوا وَتَهَلَّلُوا لأَنَّ أَجْرَكُمْ عَظِيمٌ فِي السَّمَاوَاتِ فَإِنَّهُمْ هَكَذَا طَرَدُوا الأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ)[85].

إذا كان الارتباط بالمسيح موجّهًا للإيمان المسيحيّ في تمثّله للمبادئ والقيم الّتي أتى بها المسيح؛ فإنّ ذلك لا يلغي وظيفيّة الوسائط الّتي عن طريقها يصل خطاب الإيمان إلى عموم «جماعة المؤمنين»، وتعدّ الكنيسة في المسيحيّة مفهومًا مركزيًا عند دراسة حالة الإيمان في المجتمع المسيحيّ، فمن خلالها يعبّر المسيحيّ المؤمن عن توثيق صلة ارتباطه بالإيمان، فكيف تأسس الكنيسة تعبيرًا اجتماعيًا للإيمان؟ وهل يمكن دراسة الكنيسة كمؤسّسة اجتماعيّة أم وظيفة عقائديّة؟

1. الوجه الكنسيّ للإيمان المسيحيّ ووظيفته الاجتماعيّة:

إنّ كلمة (كنيسة) غير عربيّة أصلًا؛ بل معرّبة عن اللّغة اليونانيّة من كلمة «اكلسية» أو «اكليزية»، وهي مشتقّة من الكنيس - وهو متعبَّد اليهود - ، والبِيعة أو الكنيسة، بمعنى: جماعة المؤمنين، يقرب التّعبير الإسلاميّ أمة المؤمنين أو جماعة المؤمنين»[86]، وترد كلمة كنيسة في العهد الجديد من الكتاب المقدّس في أكثر من موضع وبمعان مختلفة، منها:

- الكنيسة: بمعنى المكان الّذي يجتمع فيه المؤمنون للعبادة، ورد ذلك في 1كورنثوس: **(لأَنِّي أَوَّلاً حِينَ تَجْتَمِعُونَ فِي الْكَنِيسَةِ أَسْمَعُ أَنَّ بَيْنَكُمُ انْشِقَاقَاتٍ وَأُصَدِّقُ بَعْضَ التَّصْدِيقِ)**[87].

- الكنيسة: تشير إلى جماعة من المؤمنين في مكانٍ ما، مثل؛ كنيسة أورشليم، وكنيسة أنطاكيا، وغيرها[88].

- إنّ كلمة الكنيسة تشير إلى جماعة صغيرة من المؤمنين تجتمع في أي مكان للعبادة، سواء في كنيسة أو منزل أو أي مكان آخر: **(سَلِّمُوا بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِقُبْلَةٍ مُقَدَّسَةٍ. كَنَائِسُ الْمَسِيحِ تُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ)**[89].

- الكنيسة: تشير إلى جماعة المؤمنين عمومًا، وتُعرف بالكنيسة العامّة: **(وَأَنَا أَقُولُ لَكَ أَيْضاً: أَنْتَ بُطْرُسُ وَعَلَى هَذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا)**[90].

---

85 - إنجيل متّى [5: (3– 12)].

86 - الخوري بولس (2004م)، "**مفهوم الدّين: المفاهيم عند المسيحيين المفاهيم الفلسفية واللاهوتية في المجادلة بين المسيحيين والمسلمين من القرن الثامن حتى القرن الثاني عشر**"، المكتبة البولسية، (ط. 1)، جونية –لبنان، ص 175.

87 - انظر 1كورنثوس [18: 11]، انظر كذلك: أعمال [26: 11].

88 - انظر أعمال [4: 15] - و[1: 13].

89 - كولوسي [15: 4]، وأعمال [23: 14]، ورومية [15: 16].

90 - متى [18: 16]، وأفسس [22: 1].

- الكنيسة: جسد المسيح، وهي تشير إلى جماعة المؤمنين بالمسيح[91].

هذه المعاني للكنسية في العهد الجديد؛ تفضي إلى أن الكنسية تشغل حيّزًا مهمًّا في الإنجيل، والمؤمن بها يعبّر عن ارتباطه الوثيق بالإيمان اليسوعيّ من خلال الكنيسة - إذن - هناك ثلاثة أطراف نستجليها في هذا: (الله) وهو يبادر فيمنح نعمته من خلال الكنيسة، فيتقبّلها الإنسان متجاوبًا معها ليصبح مؤمنًا"[92]، وبذلك؛ فالإيمان المسيحيّ إيمان كنسيّ أصلًا، والمؤمنون هم في شركة في ما بينهم، وهذه الشّركة، هي الكنيسة، وتُسمّى (شركة القدّيسين)[93]؛ فالانتماء إلى الكنيسة إلزاميّ، من حيث المبدأ، وليس في وسعها أن تثبت شيئًا فيما يتعلّق بفضائل أفرادها»[94]، والكنسية تحضر كمؤسّسة اجتماعيّة، تسهر على حراسة المعتقد المسيحيّ، لكنّها تسعى - في العمق - إلى الحفاظ على وحدة المجتمع المسيحيّ، عبر الانتظام في تقاليد وأعراف وشعائر وطقوس، الّتي تساهم من جانبها في تزكية المخيال المسيحيّ، واستشعار انتمائه إلى جماعة تجمعها روابط وقيم، ويبرز - من هنا - التّأسيس الّذي تشكّله الكنيسة للتّعبير عن الإيمان المسيحيّ، وقد «بدأت الكنيسة نواة صغيرة ضمّت مجموعة رجال ونساء آمنوا بالمسيح وتبعوه، شقّت هذه النّواة طريقها في صميم العالم وظروفه، لا خارجه، فعرفت الاضطهادات، كما عرفت المجادلات والانقسامات، وأوقات شدّة وأوقات سلام. لقد أدركت الكنيسة، منذ نشأتها، أنّ الإيمان طريقة حياة؛ فهو ليس مجرد مجموعة أفكار وطقوسًا؛ بل اتّباع يسوع المسيح في تاريخ البشر، الأمر الذي يفترض سلوكًا اجتماعيًّا معيّنًا يعكس محبّة المسيح للإنسان وللبشريّة بأسرها»[95]، وغاية تأسيس الكنيسة؛ اتّباع إيمان المسيح والبقاء فيه، لكن «يتعيّن التذكير بأنّ عيسى لم يؤسّس كنيسة، خلافًا للتّأويلات الّتي لا مناص منها، النّاتجة عن تطور الأحداث؛ إنّما سعى إلى تجميع إسرائيل في أطر جديدة[96]، وهذا ما يعنيه خطابه لبطرس»، في متى: **(وَأَنَا أَقُولُ لَكَ أَيْضاً: أَنْتَ بُطْرُسُ وَعَلَى هَذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا)** لكنّه اتّخذ لنفسه جماعة من التّلاميذ؛ منهم اثني عشر رجلًا أطلق عليهم لقب (رسل)، تدل ملازمة هؤلاء التّلاميذ يسوع على تجاوبهم مع دعوته، فإذا كانوا هم النّواة الّتي كبرت وحملت اسم (الكنيسة)؛ فذلك نتيجة مبادرة المسيح الّذي دعاهم إلى اتّباعه والإيمان به[97].

---

91 - انظر: كولوسي [24: 1].

92 - فاضل سيداروس، "**بين وحي الله وإيمان الإنسان**"، محاضرات ألقيت في المعهد الإكليريكي للأقباط الكاثوليك في المعادي وفي معهد الدراسات اللاهوتيّة بالسّكاكيني، القاهرة، ط 3، دار المشرق، بيروت، 2008م، ص 79.

93 - فاضل سيداروس، "**بين وحي الله وإيمان الإنسان**"، مرجع سابق، ص 83.

94 - ماكس فيبر، «**الأخلاق البروتستانتية وروح الرّأسماليّة**»، مرجع سابق، ص 175.

95 - صلاح أبو جودة اليسوعي، «**مدخل إلى حقائق الإيمان المسيحيّ**»، جامعة القدّيس يوسف، بيروت، دار المشرق–بيروت، سنة 2004م، ط 1، 2004م، ص 177.

96 - عبد المجيد الشرفي، «**الفكر الإسلاميّ في الرّدّ على النّصارى إلى نهاية القرن الرّابع/ العاشر**»، الدّار التّونسيّة للنّشر، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب–تونس، 1986م، ص 34.

97 - صلاح أبو جودة اليسوعي، «**مدخل إلى حقائق الإيمان المسيحيّ**»، مصدر سابق، ص 178.

لقد استطاع الحواريّون أو تلاميذ يسوع أن يجسدوا الفكرة المسيحيّة، ويبلغوها للأمم الأخرى، من خلال رواياتهم لسيرة المسيح والأحداث الّتي شاهدوها وواكبوها معه، وتلاميذ المسيح الاثنا عشر هم:

1 - سمعان؛ ويدعى بطرس.
2 - أندراوس؛ أخو سمعان.
3 - يعقوب بن زبدى.
4 - يوحنا بن زبدى.
5 - فيليبس.
6 - برتلماوس.
7 - توما.
8 - متى العشار.
9 - يعقوب بن حلفى.
10 - تداوس.
11 - سمعان الغيور.
12 - يهوذا الأسخروطي.

وردت هذه الأسماء في الإنجيل: **(وَلَمَّا دَخَلُوا صَعِدُوا إِلَى الْعِلِّيَّةِ الَّتِي كَانُوا يُقِيمُونَ فِيهَا: بُطْرُسُ وَيَعْقُوبُ وَيُوحَنَّا وَأَنْدَرَاوُسُ وَفِيلُبُّسُ وَتُومَا وَبَرْثُولَمَاوُسُ وَمَتَّى وَيَعْقُوبُ بْنُ حَلْفَى وَسِمْعَانُ الْغَيُورُ وَيَهُوذَا بْنُ يَعْقُوبَ. هَؤُلاَءِ كُلُّهُمْ كَانُوا يُواظِبُونَ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ عَلَى الصَّلاَةِ وَالطِّلْبَةِ مَعَ النِّسَاءِ وَمَرْيَمَ أُمِّ يَسُوعَ وَمَعَ إِخْوَتِهِ)**[98]. تتركّز دعوة التّلاميذ وتعاليمهم على وجوب التّوبة والتّعميد، والإيمان بالمسيح عيسى؛ لتغفر لهم خطاياهم، وهي الدّعوة الّتي كان المسيح يدعو إليها، وهو ما أكّد عليه مرقس بقوله: **(وَقَالَ لَهُمُ: اذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعَ وَاكْرِزُوا بِالإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا)**[99]؛ أي أنّ المسيح طلب منهم تبليغ الإنجيل، وهنا، إشارة للدّور الاستراتيجيّ الّذي اضطلع به تلاميذ المسيح؛ إذ تمكّن التّلاميذ - من خلال الرّؤية المسيحية لموت وبعث ودفن المسيح كما تشكلت في الرؤية الإنجيليّة (متى، مرقس، لوقا، يوحنا) - من الحفاظ على هذا المنظور الإنجيليّ في رواياتهم الّتي تحظى بطابع (القداسة)، وهو ما يتّضح في أعمال الرّسل الّذي جاء فيه: **(أَمَّا هُمُ الْمُجْتَمِعُونَ فَسَأَلُوهُ: (يَا رَبُّ هَلْ فِي هَذَا الْوَقْتِ تَرُدُّ الْمُلْكَ إِلَى إِسْرَائِيلَ؟).**

فَقَالَ لَهُمْ: "لَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا الأَزْمِنَةَ وَالأَوْقَاتَ الَّتِي جَعَلَهَا الآبُ فِي سُلْطَانِهِ

لَكِنَّكُمْ سَتَنَالُونَ قُوَّةً مَتَى حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْكُمْ وَتَكُونُونَ لِي شُهُوداً فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ وَإِلَى أَقْصَى الأَرْضِ".

وَلَمَّا قَالَ هَذَا ارْتَفَعَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ وَأَخَذَتْهُ سَحَابَةٌ عَنْ أَعْيُنِهِمْ.

98 - أعمال الرّسل [1: (13– 14)].
99 - مرقس [16: 15].

وَفِيمَا كَانُوا يَشْخَصُونَ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ مُنْطَلِقٌ إِذَا رَجُلاَنِ قَدْ وَقَفَا بِهِمْ بِلِبَاسٍ أَبْيَضَ

وَقَالاَ: أَيُّهَا الرِّجَالُ الْجَلِيلِيُّونَ مَا بَالُكُمْ وَاقِفِينَ تَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ؟ إِنَّ يَسُوعَ هَذَا الَّذِي ارْتَفَعَ عَنْكُمْ إِلَى السَّمَاءِ سَيَأْتِي هَكَذَا كَمَا رَأَيْتُمُوهُ مُنْطَلِقاً إِلَى السَّمَاءِ)[100].

2. أبعاد الإيمان الاجتماعيّة في النّصّ الإنجيليّ:

تتنوّع أبعاد الفعل الاجتماعيّ للإيمان في النّصوص الإنجيليّة، ويمكن وصف النّصّ الإنجيليّ أنّه - أساسًا - جاء ليحدث انتقالًا اجتماعيًّا في الجماعة الّتي بدأ منها يسوع دعوته، وهذا الأمر ينطبق على دعوات الرّسل والأنبياء جميعًا، لذلك؛ يمكن اعتبارهم مصلحين اجتماعيّين، ويظهر هذا في ثنايا نصوص الإنجيل من خلال جملة إشارات واضحة لتقويم السّلوك الإنسانيّ، وحفظ النّسيج الاجتماعيّ والكيان الروحيّ للجماعة المؤمنة.

- تعليم الحقّ وخدمة الإنسان:

جاء في إنجيل مرقس: {**لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ أَيْضًا لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ**}[101].

- النّهي عن الانتقام:

زيادة في المحبّة ولدرء الشّقاق في المجتمع؛ نهاهم يسوع عن الانتقام والغضب، حتّى إنّ المصالحة مع الغير في حالة الخصام والشّقاق أفضل من تقدمة القربان، إنّه انقلاب في مضمون الشّريعة، واهتمام بالجوهر الأخلاقيّ للعلاقات الإنسانيّة: {**قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَقْتُلْ، وَمَنْ قَتَلَ يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ، وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَغْضَبُ عَلَى أَخِيهِ بَاطِلاً يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ، وَمَنْ قَالَ لأَخِيهِ: رَقَا، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْمَجْمَعِ، وَمَنْ قَالَ: يَا أَحْمَقُ، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ نَارِ جَهَنَّمَ، فَإِنْ قَدَّمْتَ قُرْبَانَكَ إِلَى الْمَذْبَحِ، وَهُنَاكَ تَذَكَّرْتَ أَنَّ لأَخِيكَ شَيْئًا عَلَيْكَ، فَاتْرُكْ هُنَاكَ قُرْبَانَكَ قُدَّامَ الْمَذْبَحِ، وَاذْهَبْ أَوَّلاً اصْطَلِحْ مَعَ أَخِيكَ، وَحِينَئِذٍ تَعَالَ وَقَدِّمْ قُرْبَانَكَ. كُنْ مُرَاضِيًا لِخَصْمِكَ سَرِيعًا مَا دُمْتَ مَعَهُ فِي الطَّرِيقِ، لِئَلاَّ يُسَلِّمَكَ الْخَصْمُ إِلَى الْقَاضِي، وَيُسَلِّمَكَ الْقَاضِي إِلَى الشُّرَطِيِّ، فَتُلْقَى فِي السِّجْنِ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: لاَ تَخْرُجُ مِنْ هُنَاكَ حَتَّى تُوفِيَ الْفَلْسَ الأَخِيرَ**)[102]، ونهى عن الانتقام، ودعا إلى مبادلة الإساءة بالمحبّة والصّفح ومحبّة الأعداء: {**سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: عَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ**

100 - أعمال الرّسل [1: (6– 11)].

101 - مر [10: 45].

102 - مت [5: 21– 26].

أَيْضًا. وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَاصِمَكَ وَيَأْخُذَ ثَوْبَكَ فَاتْرُكْ لَهُ الرِّدَاءَ أَيْضًا. وَمَنْ سَخَّرَكَ مِيلاً وَاحِدًا فَاذْهَبْ مَعَهُ اثْنَيْنِ. مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْتَرِضَ مِنْكَ فَلاَ تَرُدَّهُ} [103].

- في التّضامن الاجتماعيّ:

أمرهم بالصّدقة: {إِحْتَرِزُوا مِنْ أَنْ تَصْنَعُوا صَدَقَتَكُمْ قُدَّامَ النَّاسِ لِكَيْ يَنْظُرُوكُمْ، وَإِلاَّ فَلَيْسَ لَكُمْ أَجْرٌ عِنْدَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. فَمَتَى صَنَعْتَ صَدَقَةً فَلاَ تُصَوِّتْ قُدَّامَكَ بِالْبُوقِ، كَمَا يَفْعَلُ الْمُرَاؤُونَ فِي الْمَجَامِعِ وَفِي الأَزِقَّةِ، لِكَيْ يُمَجَّدُوا مِنَ النَّاسِ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُمْ قَدِ اسْتَوْفَوْا أَجْرَهُمْ! وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صَنَعْتَ صَدَقَةً فَلاَ تُعَرِّفْ شِمَالَكَ مَا تَفْعَلُ يَمِينُكَ، لِكَيْ تَكُونَ صَدَقَتُكَ فِي الْخَفَاءِ. فَأَبُوكَ الَّذِي يَرَى فِي الْخَفَاءِ هُوَ يُجَازِيكَ عَلاَنِيَةً[104]}، وأعطى نموذجًا (السّامريّ الصّالح): {وَأَمَّا هُوَ فَإِذْ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّرَ نَفْسَهُ، قَالَ لِيَسُوعَ: "وَمَنْ هُوَ قَرِيبِي؟" فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ: "إِنْسَانٌ كَانَ نَازِلاً مِنْ أُورُشَلِيمَ إِلَى أَرِيحَا، فَوَقَعَ بَيْنَ لُصُوصٍ، فَعَرَّوْهُ وَجَرَّحُوهُ، وَمَضَوْا وَتَرَكُوهُ بَيْنَ حَيٍّ وَمَيْتٍ. فَعَرَضَ أَنَّ كَاهِنًا نَزَلَ فِي تِلْكَ الطَّرِيقِ، فَرَآهُ وَجَازَ مُقَابِلَهُ. وَكَذلِكَ لاَوِيٌّ أَيْضًا، إِذْ صَارَ عِنْدَ الْمَكَانِ جَاءَ وَنَظَرَ وَجَازَ مُقَابِلَهُ. وَلكِنَّ سَامِرِيًّا مُسَافِرًا جَاءَ إِلَيْهِ، وَلَمَّا رَآهُ تَحَنَّنَ، ٣٤فَتَقَدَّمَ وَضَمَدَ جِرَاحَاتِهِ، وَصَبَّ عَلَيْهَا زَيْتًا وَخَمْرًا، وَأَرْكَبَهُ عَلَى دَابَّتِهِ، وَأَتَى بِهِ إِلَى فُنْدُقٍ وَاعْتَنَى بِهِ. وَفِي الْغَدِ لَمَّا مَضَى أَخْرَجَ دِينَارَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا لِصَاحِبِ الْفُنْدُقِ، وَقَالَ لَهُ: اعْتَنِ بِهِ، وَمَهْمَا أَنْفَقْتَ أَكْثَرَ فَعِنْدَ رُجُوعِي أُوفِيكَ. فَأَيَّ هؤُلاَءِ الثَّلاَثَةِ تَرَى صَارَ قَرِيبًا لِلَّذِي وَقَعَ بَيْنَ اللُّصُوصِ؟" فَقَالَ: "الَّذِي صَنَعَ مَعَهُ الرَّحْمَةَ". فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: "اذْهَبْ أَنْتَ أَيْضًا وَاصْنَعْ هكَذَا"} [105].

IV. التّعبيرات الاجتماعيّة للإيمان الإسلاميّ:

يتمحور خطاب الإيمان في القرآن المجيد حول الفرد المؤمن أو (جماعة المؤمنين)، ويضع لذلك شروطًا ومواصفات، يبيّنها قوله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ * وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا * وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ)[106].

يظهر من القراءة الحرفيّة لهذا النّصّ: أنّ المؤمن الحقّ «إنسانٌ ورع حقًّا، وفي قلبه مجرّدُ ذكر اسم الله كافٍ لأن يثير إحساسًا شديدًا بالوجل، وحياتُه كلّها محكومةٌ بمزاج أصيل من الجدّية العميقة»[107]، لكنّ

103 - مت [5: 38– 42].

104 - مت [6: 1– 4].

105 - لو [10: 29 - 37].

106 - [الأنفال: (2– 4)].

107 - إيزوتسو، "المفهومات الأخلاقيّة– الدّينيّة في القرآن"، دار الملتقى، ترجمة: عيسى علي العاكوب، 1429هـ/ 2008م، سوريا، ط 1، ص 306.

الواقع يكشف عن مؤمن مغاير لهذا التّصوّر؛ فقد نجد إنسانًا مؤمنًا، لكنّه غير ملتزم في سلوكيّاته الاجتماعيّة بقواعد المواطنة والقوانين المنظّمة للمجتمع، وهو مضمون قوله تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ)**[108]، لهذا؛ نجد في المجتمع شخصًا ورعًا تقيًّا مؤمنًا ملتزمًا بالشّعائر التّعبديّة، لكنّه غير منضبط للسّلوك المدنيّ الّذي يؤطّر المجتمع، وهو خلاف «الإيمان الحقُّ - الّذي - ينبغي أنْ يعمل عمل الدّافع الأقوى، الّذي يدفع النّاس إلى الأعمال الصّالحة، وإذا لم يعمل هذا العمل، فإنه ليس إيمانًا حقًّا؛ بل يجب - أكثر من ذلك - أن تجد تعبيرًا لها في كلِّ عمل - تقريبًا - في الصّلات العاديّة - للإنسان بالإنسان - في الحياة، هذا التّرابطُ العميق بين الإيمان والأعمال الصّالحة، اتّخذ - فيما بعدُ - في علم الكلام أهميّةً واضحة عندما يثير المعتزلةُ المسألة في صورة أكثر حدّة؛ بتأكيدهم أنّ «الإيمان» مستقلّ تمامًا عن الأعمال، ومهما تكن الذّنوب الّتي يرتكبها الإنسان؛ فإنّها لا تؤثّر - البتّة - في كونه (مؤمنًا) صادقًا، إذا كان الإيمانُ وحده موجودًا»[109]، لذلك؛ يصف القرآن مجموعة أعمال ومواصفات، يتحلّى بها هؤلاء المؤمنون فقط، «وخصّ - سبحانه - اسم العبوديّة بالمشتغلين بالعبوديّة؛ فدلّ ذلك على أنّ هذه الصّفة من أشرف صفات المخلوقات»[110]، فقال: **(وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا (63) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (64) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (65) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (66) وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (67) وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (68) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا)**[111].

يصف سيد قطب - رحمه الله - عبارة (عِبادُ الرَّحْمنِ) المتضمّنة في الآيات السّابقة؛ بأنّها صفة تخصّ المؤمنين، بصفاتهم المميّزة ومقوّماتهم الخاصّة، كأنّهم خلاصة البشريّة في نهاية المعركة الطّويلة بين الهدى والضّلال، بين البشريّة الجاحدة الشّاقة والرّسل الّذين يحملون الهدى لهذه البشريّة، كأنّهم الثّمرة المجنيّة لذلك الجهاد الشّاقّ الطّويل، والعزاء المريح لحملة الهدى فيما لاقوه من جحود وصلادة وإعراض! وهذا يؤكّده تجاهل المشركين واستنكارهم لاسم (الرَّحْمنُ)؛ فهاهم عباد الرّحمن - الّذين يعرفون الرّحمن - ويستحقّون أن ينسبوا إليه، وأن يكونوا عباده، ها هم - بصفاتهم المميّزة ومقوّمات نفوسهم وسلوكهم وحياتهم - مثلًا لحياة واقعيّة للجماعة الّتي يريدها الإسلام، وللنّفوس الّتي ينشئها بمنهجه التربويّ القويم، وهؤلاء يستحقّون أن يعبأ بهم الله في الأرض، ويوجّه إليهم عنايته؛ فالبشر - كلّهم - أهون على الله من أن يعبأ بهم، لولا أن هؤلاء فيهم، ولولا أنّ هؤلاء يتوجّهون إليه بالتّضرّع والدّعاء[112]، وتتعزّز هاته الصّفات بأخلاق اجتماعيّة

---

108 - [البيّنة: (7)].

109 - إيزوتسو، "**المفهومات الأخلاقيّة- الدّينيّة في القرآن**"، مصدر سابق، ص ص 306– 307.

110 - الرّازي الفخر، 1401هـ/ 1981م، "**مفاتيح الغيب**"، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط 1، م 12، ج 23 - 24، ص 107.

111 - [الفرقان: (63 - 69)].

112 - سيد قطب، «**في ظلال القرآن**»، 5 - 2577.

نابعة من إيمان صادق وخالص لله تعالى ذكره في قوله: **(وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (72) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (73) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (74) أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا)**[113].

إنّ مظاهر الحلم والخشية وحفظ الأمانة والصّلاة؛ مظاهر أساسيّة للمؤمن الحقّ الّذي يصفه القرآن المجيد، ووعده بالفوز والفلاح، وهؤلاء المؤمنون لهم الفلاح والنّجاة المشروطان بأداء الصّلاة، والإعراض عن اللّغو، وحفظ الفرج على غير الزّوج، وحفظ الأمانة والعهود، وكلّها التزامات اجتماعيّة أساسيّة، الرّابط بينها وبين الإيمان؛ أنّ الإيمان صلة الإنسان بالله تعالى، والمنهيّات والعهود المطلوب حفظها في الآية صلة الإنسان بالإنسان: **(قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ {1} الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ {2} وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ {3} وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ {4} وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ {5} إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ {6} فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ {7} وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ {8} وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ {9} أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ {10} الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)**[114]، يظهر - من هنا - أنّ الإيمان بالله تنعكس آثاره من الأعمال الصّالحة والصّفات الجميلة النّفسانيّة؛ كالخشية والخشوع والإخلاص ونحوها، إذا لم تغلبه الدّواعي الباطلة والتّسويلات الشّيطانيّة، وبعبارة أخرى: إذا لم يكن إيمانًا مقيّدًا بحال دون حال، كما في الآية: **(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ)**[115]، فالمؤمن يكون مؤمنًا على الإطلاق إذا جرت أعماله على حقّ ما يقتضيه إيمانه؛ من الخشوع في عبادته، والإعراض عن اللّغو، ونحوه[116].

1. المفاهيم الاجتماعيّة للإيمان في الإسلام:

يقدّم الإسلام الإيمان في حزمة مفاهيم وألفاظ يتداخل فيها الثّقافيّ بالاجتماعيّ والتّشريعيّ بالدّينيّ؛ مفهوم (الملّة، الأمّة، المؤمن، الجماعة، ...إلخ)، وغيرها من المفاهيم الّتي نعدّها تجلٍّ اجتماعيّ للإيمان الإسلاميّ، ودراسة هذه المفاهيم داخل الحقل المرجعيّ للقرآن الكريم تعطي إضافة نوعيّة على تحديد الأبعاد الاجتماعيّة للإيمان؛ أي إنّ تناول موضوع العقائد (الإيمان أنموذج) يتجاوز المنظور الكلاميّ المجرّد، إلى مقاربة تسعى إلى تفسير ورصد ظاهرة الإيمان - في تجلّيّاتها ومعطياتها الواقعيّة - باستخدام مفاهيم يقدّمها النّصّ القرآنيّ.

---

113 - [المؤمنون: (72– 75)].

114المؤمنون / 1 – 11.

115الحج / 11.

116 "**الميزان في تفسير القرآن**» للطباطبائي 15/ 8.

1.1. مفهوم الملّة ودلالته الاجتماعيّة:

يعدّ مفهوم (الملّة) من المفاهيم الّتي تستوعب الإيمان، ويتّضح ذلك عند مقابلة (الإيمان) بمفهوم آخر، مضادّ له في المنظومة القرآنيّة؛ هو (الكفر)، يقول الله تعالى: (**رَبِّيٓ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ)**[117]، وقوله: **(وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَاۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ)**[118]، وقوله تعالى: (**قُلْ صَدَقَ اللَّهُۗ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)**[119]؛ فعدَّ (الملّة) مناقضةً للشّرك والكفر، إنّها تدلّ على الحنفيّة السّمحة الّتي تقصد توحيد الله سبحانه، هذا المعنى يتشكّل عند التّدقيق في البنية الدّلاليّة لـ(الملّة)، ونلاحظ أنّه يحيل إلى الدّلالة نفسها لمفهوم (الإيمان)، وهو ما نجده عند الرّاغب الأصفهاني في تعريفه لمفردة الملّة الّذي يحدّده في كونه: (اسم لما شرّعه الله تعالى لعباده على لسان أنبيائه ليتوصّلوا به إلى جوار الله»[120]، والملّة - في الأصل - اسم من أمللت الكتاب بمعنى أمليته، كما قال الرّاغب، ومنه؛ طريق ملول - أي مسلوك معلوم - كما نقله الأزهريّ، ثمّ نقلت إلى أصول الشّرائع، باعتبار أنّها يمليها النّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - ولا يختلف الأنبياء - عليهم السّلام - فيها، (وقد تطلق على الباطل –كالكفر - ملّة واحدة، ولا تضاف إليه - سبحانه - فلا يقال: (ملّة الله)، ولا إلى آحاد الأمّة، والدّين يرادفها صدقًا، لكنّه في اعتبار قبول المأمورين؛ لأنّه - في الأصل - الطّاعة والانقياد والاتّحاد، قال تعالى: **(دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)**[121]، وقد يُطلق الدّين على الفروع تجاوزًا، ويضاف إلى الله تعالى، وإلى الآحاد، وإلى طوائف مخصوصة - نظرًا إلى الأصل - على أن تغاير الاعتبار كاف في صحّة الإضافة، ويقع على الباطل أيضًا»[122].

فإذا كان مفهوم الإيمان الإسلاميّ يدور حول «الاعتقاد بالقلب والإقرار باللّسان»؛ فإنّ مقصود الإيمان «الاعتقاد بالعقائد الّتي يوحي بها الله عن طريق الأنبياء والرّسل، ومن تعريفات (الملّة) أنّها: جملة الأصول والعقائد الّتي يبلّغها كلّ رسول أو نبيّ إلى قومه خاصّة؛ أي «الشَّرِيعَة أَو الدّين، كملّة الْإِسْلَام والنّصرانيّة، وَهِي اسْم لما شرّع الله لِعِبَادِهِ بوساطة أنبيائه ليتوصلوا بِهِ إِلَى السَّعَادَة فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة»[123].

117 - [يوسف: (37)].

118 - [البقرة: (129)].

119 - [آل عمران: (95)].

120 - الأصفهاني الرّاغب، "**المفردات في غريب القرآن**"، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، ص 716.

121 - [الأنعام: (163)].

122 - شهاب الدّين الألوسي، «**روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني**»، تحقيق: علي عبد الباري عطيّة، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط 1، 1415 هـ، ج 1، ص 369.

123**المعجم الوسيط** 2/ 887.

على هذا، تكون وظيفة كلّ من مفهومَي (الملّة) و(الإيمان): التّأسيس للاعتقاد بعقائد وأصول تشكّل جوهر الدّين الإسلاميّ، ويصحّ بها وصف المسلم مؤمنًا، إذا ما حقّق التّحقّق القلبيّ لما يعتقده، وكان له أثر على سلوكه، إمّا بواسطة انتمائه للجماعة، أو بتعبّده الفرديّ، هذه الخلاصة؛ هي مضمون سؤال: ما علاقة الملّة بالإيمان؟ وما علاقته بالتّعبير عن المضمون الاجتماعيّ للإيمان الإسلاميّ؟

1.2. علاقة الإيمان بـ«الملّة»؟

يظهر مفهوم (الملّة) - كتجلٍّ اجتماعيّ - من خلال (جماعة المؤمنين) الّتي وردت في القرآن، والصّفات الّتي يذكرها القرآن لهذه الجماعة، والمقام العليّ الّذي وُعِد به المؤمنون في الجنّة، يقول الله تعالى: **(وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)**[124]؛ فكلّ من دخل في جماعة المؤمنين له مقام في الجنّة، جزاءً بما صنع في الدّنيا، والخطاب القرآنيّ - في مواطن عديدة - موجَّه إلى «جماعة المؤمنين»، ومقترن - في بعض المواضع - بشروط هذه الجماعة الّتي لا يجوز أن تقترف بعض الأعمال الّتي يتّصف بها - في منطوق القرآن - من هم خارج نطاق الجماعة المؤمنة فقط، هذا المعنى يوضح الإشارات الّتي أوردها الطّبريّ في تفسيره، وهي معان تحتوي أبعاد سياسيّة واجتماعيّة لهويّة الجماعة المؤمنة، ضمن إطار (الملّة)، يقول في تفسيره للآية السّابقة: «ليورثنّهم الله أرض المشركين من العرب والعجم، فيجعلهم ملوكها وساستها»، **(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ)**[125]، يقول: كما فعل مِنْ قبلهم، ذلك ببني إسرائيل؛ إذ أهلك الجبابرة في الشّام، وجعلهم ملوكها وسكّانها، **(وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)**[126]، يقول: وليوطئنّ لهم دينهم، يعني: ملّتهم الّتي ارتضاها لهم، فأمرهم بها»[127].

إنّ القول بهذه الصّفات والخصال الّتي يختصّ بها زمرة المؤمنين، يؤسّس لمؤسّسة اجتماعيّة، وهذه الجماعة تتبلور في مفهوم (الملّة) الّتي تستوعب جميع من يتّصف بمقوماتها العقائديّة والدّينيّة، **(فُقْلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)**[128]، وهذه الملّة؛ هي الّتي من أجلها ترك يوسف - عليه السّلام - جماعة غير مؤمنة، كي يلتحق بالجماعة المؤمنة، **(إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ**

124التوبة / 72

125النور / 53

126 - [النّور: (53)].

127 - [الطّبري: (19 - 207)].

128 - [الأنعام: (162 - 163)].

لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (37) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ)[129].

إنّ الّذي يجعل مفهوم (الملّة) تعبيرًا اجتماعيًّا عن الإيمان، هو: كون القرآن يضع للملّة شرط الإيمان، لكلّ إنسان يريد الدّخول لهذه الجماعة، لقوله تعالى: **(وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)**[130]، يظهر - هنا - مفهوم آخر له دلالة اجتماعيّة وسياسيّة؛ هو «الولاية» القائمة بين المؤمنين، والتّأسيس السّابق يتعزّز عند دراسته ضمن سياقات قرآنيّة أخرى، منها؛ قوله تعالى: **(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)**[131].

والأخوّة - هنا - المقصود بها؛ أخوّة في الدّين الّذي يلزم الإصلاح إذا اقتتلا، بأن تحملوهما على حكم الله وحكم رسوله، ومعنى الأخوين في هذا الموضع: كلّ مقتتلين من أهل الإيمان[132]، وهي الفئة المقصودة - كذلك - في قوله تعالى: **(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)**[133]، وقوله: **(الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ)**[134].

بهذا، يكشف مفهوم (الملّة) عن تجليّات الإيمان الاجتماعيّة، من خلال تقديمه للمؤمنين في جماعة لها شروطها الدّينيّة، وخصائصها السّياسيّة والثّقافيّة والاجتماعيّة؛ فالأخوة أساس دينيّ واجتماعيّ - في الوقت ذاته - لهذه الجماعة، والجهاد ونصرة القوم من شروطها الّتي يجب الالتزام بها من قبل المؤمن.

---

129 - [يوسف: (37 - 38)].

130 - [التوبة: (71)].

131 - [الحجرات: (10– 12)].

132 - الطّبري، «**جامع البيان في تأويل القرآن**»، 22/ 297.

133 - [الحجرات: (15)].

134 - [الأنفال: (74)].

1.3. مفهوم الأمّة وعلاقته بالإيمان:

يحيل لفظ الأمّة في اللّغة إلى: "الحالة والشِّرْعة والدّين"[135]، والمقصود بها: كلّ جماعة يجمعهم أمرٌ ما؛ إمّا دين واحد، أو زمان واحد، أم مكان واحد، سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخيراً أو اختياراً. وجمعها «أمم» يقول تعالى **(وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)**[136]؛ **أي جماعة في الإيمان**[137]، **وقد استعمل القرآن المجيد لفظ الأمّة (49) مرّة، وله معان متعدّدة ـ حسب السّياق الّذي يرد فيه اللّفظ ـ ومن معانيها: «عصبة أو مجموعة من النّاس، وذلك في قوله تعالى: (وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ)**[138]؛ **أي جماعة من النّاس يسقون أغنامهم، (وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)**[139].

لهذا؛ يُعدّ هذا المفهوم وعاءً من الأوعية الاجتماعيّة المفاهيميّة الّتي تُصرَّف بها الأبعاد الاجتماعيّة للإيمان؛ فالجماعة تنتظم عبر مؤسّسات اجتماعيّة وأعراف وتقاليد، وقوانين، ونظم سياسيّة، ..إلخ، وكلّ هذه الأعمال يوجّهها الإيمان الّذي يشكّل الخيط الرّابط بين أعضاء هذه الجماعة، وتنتظّم العلاقة بين مفهوم «الإيمان» و«الأمّة»، من اعتبار الأمّة: جماعة يجمعها الدّين واللّغة والانتماء، وجملة من القواسم المشتركة ــ لا نقصد هنا الجماعة كمفهوم سياسيّ؛ إنّما الجماعة كمفهوم اعتقاديّ ـ وأهمّ صفة تميّز هذه الجماعة الّتي تتشكل بالإيمان: (لَيْسُوا سَوَاءً ۗ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ)[140].

وتتجلّى العلاقة بين الإيمان والأمّة ـ بشكل أدقّ ـ في عدّ الدّين: مؤسّسة اجتماعيّة، تفرّعت منه، مفاهيم؛ (الأمّة أو جماعة المؤمنين، والملّة، والمذهب، والنّحلة أو الفرقة).

لقد عمل الإسلام على تقديم الإيمان من خلال مفاهيم تعدّ أوعية اجتماعيّة يتأسّس بها الإيمان، كي يشكّل إطارًا نظريًّا موجّهًا للوعي الاجتماعيّ الموجّه لسلوكيّات الفرد وأفعاله في الواقع.

والأكيد؛ أنّ الأديان الإبراهيميّة الثّلاثة ترشد الفعل الاجتماعيّ للإنسان عبر سياقات وفلسفة تشريعيّة، من خلال ما كشفت عنه المفاهيم الدّينيّة في سياقات استعمالها داخل النّصوص الدّينيّة؛ حيث إنّ الأديان

135 - الفيروز آباديّ، 1406هـ/ 1986م، "**القاموس المحيط**"، مؤسّسة الرّسالة، الطّبعة الأولى، بيروت– لبنان، ص 1391.

136 - [النّحل: (93)].

137 - الأصفهاني الرّاغب، "**المفردات في غريب القرآن**"، مصدر سابق، ص 28.

138 - [القصص: (23)].

139 - [النّحل: (92)].

140 - [آل عمران: (113)].

الثّلاثة قدّمت الإيمان بالدّين عبر حزمة مفاهيم تعبّر عن الهاجس الاجتماعيّ الّذي يشغلها؛ إذ إنّ وظيفة الإيمان تكتمل إذا أنتج آثارًا وسلوكيّات في الواقع، لذلك؛ اتّجه النّصّ المسيحيّ إلى تقديم أنموذج آخر يتجاوز التّعثّر الّذي شهدته اليهوديّة في فلسفتها للإيمان، عقب التّحوّلات التّاريخية والاجتماعيّة الّتي طرأت على الشّعب اليهوديّ؛ لأنّ التّعبير الاجتماعيّ الّذي تهدف الكنسية إلى تقديمه، يأخذ أشكالًا مختلفة؛ فهو يحضر تارة ويغيب تارة أخرى، ويظهر هذا في المعاني المتعدّدة الّتي تعطى لكلمة «كنيسة»؛ إذ إنّ الإيمان المسيحيّ يرتبط أكثر ببعد روحيّ يتجسّد في الإيمان بشخصيّة المسيح، وهو ما يجعل أمر التّعبير عن المضمون الاجتماعيّ للإيمان المسيحيّ ينعكس على الجماعة أكثر من الفرد؛ فالكنسية تجمع المؤمنين في طقس واحد، والمؤمنون يعبّرون عن انتمائهم لهذه الجماعة في حضورهم وتعميدهم، وهذا الحضور والانتظام في مكان واحد، يعكس وحدة اجتماعيّة لهذه الجماعة وفق معتقد يشكّل المنطلق والمحفّز لهذا الإيمان، أمّا النّصّ اليهوديّ؛ فغير بعيدٍ عن هذا رغم التّشابك التّاريخيّ والثّقافيّ لمعطياته النّصيّة، إلّا أنّها تفي بالغرض التّحليليّ من خلال ما اتّضح من دراسة نصوصها، ولسنا نبالغ إذا قلنا: إنّ ما جعل النّصّ اليهوديّ مثقلًا بالأبعاد التّاريخيّة والثّقافيّة والسّياسيّة (الملوك وصراعتهم)، يرجع - في جزء منه - إلى شدّة حضور البعد الاجتماعيّ في ثنايا خطابه، في حين يقدّم القرآن الإيمان بارتباط وثيق مع أحوال النّاس وعلاقاتهم في الواقع، لذلك؛ يرتبط مفهوم الإيمان - حين وروده في القرآن - بسياقات متعدّدة تعكس اختلاف السّياقات الّتي تجعل الإنسان مؤمنًا وتنوّعها، لهذا؛ نجد الإيمان يعبّر عن نفسه في مفاهيم وقضايا أخرى، كما تعكس الرّؤية القرآنيّة قصور النّصّ التّوراتيّ والإنجيليّ عن استيعاب قضيّة الإيمان، بين وظيفته العقائديّة الدّينيّة، وعلاقته بالإنسان ومعطياته الاجتماعيّة والثّقافيّة؛ حيث نجد النّصّ التّوراتيّ قليلًا ما يحسّ بموضوع الآخرة (الجنّة، النّار، السّاعة، البعث، ...إلخ) حاضرًا بنفس درجة حضوره في القرآن المجيد الّذي يقدّم لهذه القضايا من بدايته: تقرأ في سورة الفاتحة: **(مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)**[141]، وفي سورة النّازعات: **(وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا * وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا * وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا * فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا * فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا * يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ * قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ * أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ * يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ * أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً * قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ * فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ)**[142]، وفي سورة التّكوير: **(إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ)**[143]، وكذلك في سورة الانفطار: **(إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ)**[144]، وفي سورة المطفّفين: **(وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ. الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ. وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ. أَلا يَظُنُّ أُوْلَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ. لِيَوْمٍ عَظِيمٍ. يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)**[145].

141 - [الفاتحة: (3)].

142 - [النّازعات: (1 – 14)].

143 - [التكوير: (1)].

144 - [الانفطار: (1)].

145 - [المطففين: (1– 6)].

فحضور الموضوعات المتعلّقة بالآخرة (الجنّة والنّار والحساب والبعث والجزاء ...إلخ)، يجعل الإيمان مرتبط بالبعد الغيبيّ، لكنّه - في ذات الوقت - يسمح باكتشاف مدى ارتباط هذه الموضوعات بالمعطى الاجتماعيّ للإنسان، وهو ما يجعل قضايا العقيدة أكثر ارتباطًا بالواقع الإنسانيّ، وتساهم - بذلك - في معالجة المشكلات الإنسانيّة؛ لأنّ دراسة ايمان الإنسان من منظور كلّيّ عامّ يعدّ من الموضوعات المهمّة الّتي يمكن أن تدرج في نطاق الفكر العقديّ الحديث، وموضوعه يتناول بالبحث: مبدأ الإنسان، قيمته الذّاتيّة، منزلته في الكون، غاية وجوده، مصيره، وهذه المسائل لم تنل الاهتمام في الفكر الكلاميّ الموروث، إلّا أن تكون جزئيّات متفرّقة في ثنايا موضوعات أخرى»[146]، وحتّى الموضوعات الّتي شغلت حيّزًا مهمًّا يُعدَل بها عن المنهج التّحليليّ للقرآن الكريم، وقضيّة التّوحيد أنموذجًا لهذا، إذا دُرسَت بالارتباط مع الواقع الإنسانيّ، سوف تثمر منظورًا جديدًا يعيد تشكيل النّموذج الإدراكيّ للإنسان، وهو ما يتّضح من منطوق الآيات القرآنيّة؛ فقد «أراد القرآن للتّوحيد أن يكون صبغة الله لسائر مرافق حياة الإنسان: **(صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ)**[147]؛ أي أنّ تفكير الإنسا وفعاليّاته وسلوكه اليوميّ، يجب أن يطبعه ويلوّنه التّوحيد، حتّى تصير حركة الإنسان - في الواقع - وفق منهج الله»[148]، فليس عبثًا يكون الإنسان هو الوحيد من بين كلّ المخلوقات من علّقت عليه أهميّة عظيمة في القرآن الكريم، وفي الحقيقة؛ فإنّ الإنسان بطبيعته وسلوكه ونفسيّته وواجباته ومصيره، ينال اهتمامًا مركزيًّا في الفكر القرآنيّ، بالقدر الّذي تناله مسألة (الله) ذاته»[149]؛ فهو بالأهميّة بمكان، بحيث يشكّل القطب الرّئيس الثّاني الّذي يقف وجهًا لوجه إزاء القطب الأساسيّ (الله)»[150].

إنّ قوّة حضور الإنسان في النّصّ القرآنيّ، وظهور إشكالات جديدة ومعقّدة عن الإنسان وعلاقاته في التّفكير الدّينيّ، يقتضي تأسيس مبحث إنسانيّ على غرار الفلسفة الحديثة الّتي أَسّست مبحثًا مستقلًا وأساسيًّا من بين مباحثها، «وعلى أساسه تنبني كلّ المنظومات المذهبيّة - الاقتصاديّة والسّياسيّة والاجتماعيّة - وهو ما يؤكّد ضرورة نشوء فكر عقديّ إسلاميّ في الإنسان، يطاول مبحث الإنسان في الفلسفة، وتتأسّس عليه التّشاريع العمليّة»[151]، وهو ما يجعل لقضايا الدّين والفلسفة بعدًا آخر، ويمنح قضايا التّفكير الدّينيّ مقاربة جديدة، وذلك عن طريق الاعتناء بالموضوعات الّتي تختزل الإنسان في النّصّ الدّينيّ.

---

146 - النّجّار عبد المجيد، 30 نيسان 2010م، «**واقعيّة المنهج الكلاميّ ودورها في مواجهة التّحديّات الفلسفيّة المعاصرة**»، استرجعتها يوم 03 كانون الثّاني 2013م.

http://www.alwihdah.com/fikr/fikr/2010 - 04 - 26 - 1087.htm

147 - [سورة البقرة: (137)].

148 - كتاب الحياة الطّيبة، سلسلة بحوث مواكبة العصر"، عبد الجبّار الرّفاعي، مقالة "**علم الكلام الجديد تمهيد وعرض تاريخيّ**»، ص 38.

149 - إيزوتسو توشيهيكو، مارس 2007م، «**الله والانسان في القرآن**»، ترجمة وتقديم: د. هلال محمد الجهاد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطّبعة الأولى، ص 128.

150 - توشيهيكو إيزوتسو، «**الله والانسان في القرآن**»، المرجع السّابق، ص 128.

151 - النّجّار عبد المجيد، «**واقعيّة المنهج الكلاميّ ودورها في مواجهة التّحديات الفلسفيّة المعاصرة**»، مصدر سابق.

خاتمة:

يكتسي مفهوم الإيمان داخل المجال التّداوليّ للنّصوص الدّينيّة الثّلاثة مركزيّة أساسيّة؛ إذ إنّ جوهر الخطاب الدّينيّ للأديان السّماويّة: هو تحقيق غاية الله في الكون والإنسان، وهذه الغاية تقتضي أن تشتمل النّصوص على مبادئ وقيم تتّجه إلى حياة الإنسان، وتستجيب لغاياتها الإنسانيّة، بما ينسجم مع مقصد الله في الكون، وهذا هو منطلق هذا العمل سعيًا لإبراز جوانب من العلاقة بين الإيمان والإنسان في أبعاده الاجتماعيّة، واتّخذ البحث من النّصّ التّوراتيّ والإنجيليّ والقرآنيّ موضوعًا للدّراسة، ما يعني؛ أنّ البحث يكتنفه الاشتغال على آفاق البحث والتّنقيب في الحقائق والمعطيات الدّينيّة في علاقتها مع الإنسان (ثقافيًا، واجتماعيًا، وسياسيًا، ..إلخ)؛ لذلك اختصّ البحث بمحاولة التّأسيس لمدخل تفسيريّ في التّعاطي مع القضايا الغيبيّة للأديان، وتتّبع آثارها على الإنسان باستدعاء مفاهيم لها محوريّتها في التّفكير الإسلاميّ (الأمّة، الملّة، الجماعة، الأنبياء، الملائكة، ..إلخ)، والمسيحيّ (الكنيسة، يسوع)، واليهوديّ (الأنبياء، الكتاب المقدّس، ...إلخ).

خلاصة القول: إنّ التّدقيق في التّعبيرات الاجتماعيّة للأديان الإبراهيميّة تفضي - مباشرة - إلى النّظر في علاقة هذه الأديان إلى الإنسان، أوّلًا وأخيرًا، هذا البعد يحضر فيه المورث الدّينيّ نقدًا وتقويمًا، ويحضر فيه - أيضًا - ما أفرزته الحضارة المعاصرة من إشكالات على الواقع الإنسانيّ، وهذا التّرابط والتّداخل في دراسة الظّاهرة الدّينيّة - اليوم - مطلوب وأساسيّ، وهو من الضّرورات المنهجيّة لإعادة البحث عن الدّوائر المغيّبة في النّصوص الدّينيّة، ممّا يعطي آفاقًا جديدة لدراسة قضايا التّفكير الدّينيّ، الأمر الّذي يجعل منها مواكبة لتطوّر العلوم والمعارف.

مراجع البحث:

- ✓ آ. كوهن، «**التّلمود عرض شامل للتلمود وتعاليم الحاخاميين حول: الأخلاق، الآداب، الدّين، التّقاليد، القضاء**»، ترجمة: جاك مارتي، دار الخيال، الكويت، ط 1، 2005م.
- ✓ ابن تيمية، "**مجموع الفتاوى**»، جمع وترتيب: عبد الرّحمن بن قاسم وابنه محمّد، دار الرّحمة، القاهرة.
- ✓ أبو إسحاق الشّاطبي، "**الاعْتِصَام**»، تحقيق ودراسة: محمّد الشّقير وسعد آل حميد وهشام الصّيني، النّاشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط 1، 1429هـ/ 2008م.
- ✓ الرّاغب الأصفهاني، «**المفردات في غريب القرآن**»، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، ص 716.
- ✓ الأب لويس الخوند، «**تعليم الكنيسة الاجتماعيّ**»، جامعة الرّوح القدس، الكسليك– لبنان، 2006م.
- ✓ إيزوتسو توشيهيكو، مارس 2007م، "**الله والإنسان في القرآن** «، ترجمة وتقديم: د. هلال محمد الجهاد، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، الطّبعة الأولى.
- ✓ إيزوتسو، "**المفهومات الأخلاقيّة – الدّينية في القرآن**"، دار الملتقى، ترجمة: عيسى علي العاكوب، 1429هـ/ 2008م، سوريا، ط 1، ص 306.
- ✓ جون ماك آرثر، "**تفسير الكتاب المقدّس**»، دار منهل الحياة، لبنان، ط 2، 2012م.
- ✓ جون مالك آرثر، «**تفسير الكتاب المقدّس**»، دار منهل الحياة، القاهرة، ط 2، 2012م، ص 216.
- ✓ حاج حمد محمد أبو القاسم، 1425هـ/ 2004م، "**جدليّة الغيب والإنسان والطّبيعة العالمية الإسلاميّة الثّانية**»، ط 1، دار الهادي، بيروت - لبنان.
- ✓ الخوري بولس، 2004م، «**مفهوم الدّين: المفاهيم عند المسيحيّين المفاهيم الفلسفيّة واللّاهوتيّة في المجادلة بين المسيحيّين والمسلمين من القرن الثّامن حتّى القرن الثّاني عشر**»، المكتبة البولسيّة، ط 1، جونية - لبنان، ص 175.
- ✓ الرّازي الفخر، 1401هـ/ 1981م، «**مفاتيح الغيب**»، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط 1، م 12، ج 23 - 24، ص 107.
- ✓ سيد قطب، «**في ظلال القرآن**»، 5/ 2722.
- ✓ شهاب الدّين الألوسي، «**روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني**»، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط 1، 1415ه.
- ✓ الشّهرستاني، «**الملل والنّحل**»، تحقيق: محمّد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت– لبنان، 1402هـ/ 1982م، ج 2، ص 238.
- ✓ صلاح أبو جودة اليسوعي، "**مدخل إلى حقائق الإيمان المسيحيّ**»، جامعة القدّيس يوسف، دار المشرق، بيروت، 2004م، ط 1، ص 177.
- ✓ صلاح أبو جودة اليسوعي، «**مدخل إلى حقائق الإيمان المسيحيّ**»، مصدر سابق، ص 178.
- ✓ الطّاهر بن عاشور، «التّحرير **والتّنوير**»، الدّار التّونسيّة للنّشر، تونس، 1984م.
- ✓ الطّبري، «**جامع البيان في تأويل القرآن**»، 24/ 590.
- ✓ عبد الرّحمن حللي، "**اقتران الإيمان بالعمل الصّالح في القرآن الكريم ودلالته الحضارية**»، مجلّة جامعة دمشق للعلوم الاقتصاديّة والقانونيّة، م 27، عدد 3، 2011م.

✓ عبد الرّزاق رحيم صلال، "**العبادات في الأديان السّماويّة**»، دار الأوائل، دمشق، ط 1، 2001م.

✓ عبد المجيد الشّرفي، "**الفكر الإسلاميّ في الرّدّ على النّصارى إلى نهاية القرن الرّابع/ العاشر**»، الدّار التّونسيّة للنّشر، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، تونس، 1986م، ص 34.

✓ عبد الوهاب المسيري، «**موسوعة اليهود واليهوديّة والصّهيونيّة**»، دار الشّروق، مصر– القاهرة، الطّبعة الأولى، 1999م.

✓ فاضل سيداروس، "**بين وحي الله وإيمان الإنسان**"، محاضرات ألقيت في المعهد الإكليريكيّ للأقباط الكاثوليك بالمعادي وفي معهد الدّراسات اللّاهوتيّة بالسّكاكينيّ، القاهرة، ط 3، دار المشرق، بيروت، 2008م.

✓ كريستوفر ج. رايت، "**أخلاقيّات العهد القديم لشعب الله**»، ترجمة: فينيس نقولا، دار الثّقافة، القاهرة، ط 1، 2011م.

✓ فيروز آباديّ، 1406هـ/ 1986م، "**القاموس المحيط**"، مؤسّسة الرّسالة، الطّبعة الأولى، بيروت.

✓ ماكس فيبر، "**الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية**»، ترجمة: محمّد مقلّد، مركز الإنماء القوميّ، بيروت - لبنان.

✓ محمود الذّوادي، "**الثّقافة بين تأصيل الرّؤية الإسلاميّة واغتراب منظور العلوم الاجتماعيّة**»، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت - لبنان، ط 1، كانون الثاني 2006م.

✓ مشير باسيل عون، "**محنة الإيمان اجتهادات ومساءلات في الفكر الدّينيّ المسيحيّ**»، دار المشرق، بيروت - لبنان، الطّبعة الأولى، 2005م، ص 159.

✓ ميرتشيا إلياده، «**البحثُ عن التّاريخ والمعنى في الدّين**»، ترجمة: سعود المولى، المنظّمة العربيّة للترجمة، بيروت– لبنان، ط **1**، كانون الأوّل/ **2007**م.

✓ Auguste Comte, "**Catechisme positiviste**», Garnier - flammarion, **1966** Paris.

✓ Eliade, Mircéa, **Le sacré et le profane**, Paris, Gallimard, 1982.

✓ MALEK CHEBEL, **Le Sujet En islam**, Éditeur, Editions du Seuil (2002).

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

الرباط – أكدال. المملكة المغربية

ص ب : 10569

الهاتف : 54 99 77 537 212+

الفاكس : 27 88 77 537 212+

info@mominoun.com

www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2017

All rights reserved © 2017